اَلْخُطْبَةُ السَّدِيْدَة

فِي

أُصُوْلِ الْحَدِيْثِ وَفُرُوْعِ الْعَقِيْدَة

شیخ الاسلام ڈاکٹر محمد طاہر القادری

منہاج القرآن پبلیکیشنز

الطبعة الأولى: رَمَضَان ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

منشورات منهاج القرآن

٣٦٥ ـ ايم، مادل تاؤن لاهور، هاتف: ٥١٦٨٥١٤، ١٤٠ـ١٤٠ـ١١١ (٤٢ـ٠٠٩٢)

يوسف ماركيت، غزني ستريت، السوق الأردوية، لاهور، هاتف: ٧٢٣٧٦٩٥ (٤٢ـ٠٠٩٢)

www.Minhaj.org - sales@Minhaj.org

بسم اللہ الرحمٰن الرحیم

مَوْلَایَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَآئِمًا اَبَدًا

عَلٰی حَبِیْبِکَ خَیْرِ الْخَلْقِ کُلِّهِمِ

مُحَمَّدٌ سَیِّدُ الْکَوْنَیْنِ وَالثَّقَلَیْنِ

وَالْفَرِیْقَیْنِ مِنْ عُرُبٍ وَّمِنْ عَجَمِ

﴿ صَلَّی اللہُ تَعَالٰی عَلَیْهِ وَعَلٰی آلِهٖ وَصَحْبِهٖ وَ بَارِکْ وَسَلَّمَ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الصّمد، الماجد الحميد المتحمّد الّذي لا تحيط به الأفكار ولا تنتهي إليه الأسرار، ولا تدركه البصائر والأبصار، والصّلاة والسّلام على عبده الأعبد وحبيبه الأوحد ورسوله الأمجد وأمينه الأجود سيّدنا ومولانا محمّد ﷺ المرسل الأكمل الأجمل الأفضل الأعظم الأكرم الأسلم الأحلم الأعلم، مصدر الأمر والخلق، ومبدأ الرتق والفتق، ومنبع الجمع والفرق، ومنظر النّور والبرق، هو الّذي أخذ منه ونطق عنه وشهد الله به: ﴿وَمَا يَنۡطِقُ عَنِ الۡهَوٰیo اِنۡ هُوَ اِلَّا وَحۡیٌ يُّوۡحٰیo﴾ [النجم، ٥٣:٣-٤].

فقال رسول الله ﷺ: ''ألا إنّي أُعطيت القرآن ومثله معه.'' رواه أحمد وأبوداود والدارمي وابن ماجه عن المقدام بن مَعْدي رضي الله عنه. وروى أبو داود والترمذي عنه: **قال رسول الله ﷺ: ''ألا وإنّ ما حرّم رسول الله ﷺ كما حرّم الله.'' وفي رواية ابن**

ماجه: ''مثل ما حرّم الله.'' فبيّن النّبي ﷺ أنّه قد أعطاه الله تعالى وَحُيَيْنِ، هما: وحي القرآن العظيم ووحي السنّة النبوية، فالقرآن وحي متلوٌ متعبَّد بتلاوته وأمّا السنّة فهي وحي غير متلوٍّ وغير متعبَّد بتلاوته. ولذالک جاء في الحديث النبوي ﷺ بأن الحديث هو من الوحي لأنّه لا يمكن أن يصدر منه ﷺ كالوقائع البشرية كما جاء في الحديث عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: فخطب رسول الله ﷺ الناس، فقال: ''وإنّه قد أوحي إليّ أنّكم تفتنون في القبور، قريباً. أو مثل فتنة المسيح الدجال.'' الحديث بطوله، متفق عليه. وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيباً، فقال: ''وإنّ الله أوحى إليّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحدٍ......'' الحديث، رواه مسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ''وقد أوحي إلى رسول الله ﷺ أن يبشرها ببيت لها في الجنّة من قصب......'' الحديث. متفق عليه. وقال الإمام الحسن البصري رضي الله عنه: ''أي قوم خذوا عنّا (سنّة النّبي ﷺ) فإنّكم والله إلا تفعلوا لتضلنّ.'' رواه البيهقي في مدخل الدلائل، وروى الإمام الأوزاعي عن

حسان بن عطية قال: ”كان جبريل علیہ السلام ينزل على النّبي صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم بالسّنّة كما ينزل عليه بالقرآن.“ رواه الدارمي في السنن. وعن الأوزاعي قال: أيوب السختياني: ”إذا حدّثت الرجل بالسّنّة فقال: دعنا من هذا وحدّثنا من القرآن، فاعلم أنّه ضالٌّ مضلٌّ.“ أخرجه الحاكم والبيهقى والخطيب. وقال الأوزاعى ومكحول ويحي بن أبي كثير وغيرهم: ”القرآن أحوج إلى السّنّة من السّنّة إلى الكتاب، والسّنّة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضياً على السّنّة.“ رواه الدارمي في السنن.

وصرّح الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ في كتابيه ”الأم“ و ”الرسالة“ بأنه ما فرض رسول الله صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم شيئًا قطّ إلا بوحي، فمن الوحي ما يُتلى، ومنه مايكون وحياً إلى رسول الله صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم فيستن به وقال: فأمر الله تعالى إيّاه وجهان: أحدهما: وحي ينزل، فيتلى على الناس. والثاني: رسالة تأتيه عن الله تعالى، بأن افعل كذا فيفعله......، وكذالک قال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله تعالى في ”الإحكام“ فصحّ لنا أنّ الوحي من الله عزوجل إلى رسوله صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم ينقسم إلى قسمين: أحدهما: وحيٌ متلوٌّ.

والثاني: وحيٌ مرويٌّ، وهما شيء واحد في أنّهما من عند الله تعالى وحكمهما حكمٌ واحدٌ، ونقل الإمام السيوطي عن الإمام أبي المعالي الجُوَيني رحمه الله تعالى قال: كلام الله المنزّل قسمان: قسمٌ: قال الله ﷻ لجبريل عليه السلام: قل للنّبي أنت مرسلٌ إليه: إن الله تعالى يقول: افعل كذا وأمر بكذا؟ ففهم جبريل ما قاله ربّه، ثم نزل بذلک على النّبي ﷺ ولم تكن تلک الكلمة عبارته، وقسمٌ آخر: قال الله تعالى لجبريل عليه السلام: اقرأ على النّبي عليه السلام هذا الكتاب، فنزل جبريل عليه السلام بكلمة من الله تعالى، من غير تغيير فثبت أنّ جبريل عليه السلام كان ينزل بالسّنّة كما ينزل بالقرآن، فالقرآن هو رواية كلام الله تعالى لفظاً والسّنّة هي رواية كلام الله تعالى معناً فأمّا المقصود من الأوّل هو التلاوة والتعبّد والمقصود من الثّاني هو الرواية والتنقّل.

فإنّ الوحيين، القرآن والسّنّة، بعضهما مضاف إلى بعضٍ فكلّ واحدٍ من هذين يستلزم الآخر فإثبات القرآن يقتضي إثبات السّنّة وإنكار السّنّة يقتضي إنكار القرآن.

فإنّ هذا الأصول بيّن وثابت من قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوْا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهٖ اِذْ قَالُوْا مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ عَلٰى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام، ٦:٩١]. هذه الآية دآلّة على أنّه لا يوجد ولا يقبل الاعتراف بقدر الله تعالى ولا بعظمة ألوهيّته قطعاً إلّا بإقرار الرّسالة والنّبوّة. لأنّ الرّسالة والنّبوّة هي واسطةٌ وحيدةٌ ووسيلةٌ فريدةٌ لمعرفة وجوده تعالى وألوهيّته ولتبليغ شريعته إلى عباده ولتشكّل طاعته لأحكامه وأوامره، حيث اجتبى الله ﷻ الرّسل العظام واختارهم للأخذ من الخالق والإيصال إلى الخلق، واصطفاهم للقبول من الخالق والإفضال على الخلق. واختصّهم للعطاء من الخالق والقسم بين الخلق، وشرّفهم بالسّماع من الخالق والرّواية للخلق. وعزّزهم بالوحي من الخالق والهدي للخلق. وأكرمهم بالكتاب من الخالق والسّنّة للخلق.

فلا بدّ أن نؤمن بالله تعالى ونقرّ التّوحيد ونعرف قدر الألوهيّة بواسطة الرّسالة ومعرفة عظمتها وحجيّة أسوتها واتّباع سنّتها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُّكَلِّمَهُ اللّٰهُ

اِلَّا وَحۡيًا اَوۡ مِنۡ وَّرَآئِ حِجَابٍ اَوۡ يُرۡسِلَ رَسُوۡلًا فَيُوۡحِيَ بِاِذۡنِهٖ مَا يَشَآءُ ؕ اِنَّهٗ عَلِيٌّ حَكِيۡمٌ۝﴾ [الشورى، ٤٢:٥١]. فإنّ هذه الآية صرّحت بأنّ الله تعالى لا يعطى أمره ولا يوصل كلامه مباشرة إلى عالم البشريّة والإنسانيّة إلّا بواسطة النّبوّة والرّسالة.

فإنّه يصطفي من عباده أحدًا فيجعله نبيًا ورسولا ويشرّفه بخطابه وينزل عليه كلامه وهو، أي النّبيّ عليه السلام يخطب الإنسان رسالة عنه تعالى ويكلّم البشر نيابة عنه تعالى ويخبرهم عن أمره ونهيه. فيقرّر الله تعالى خطاب النّبيّ عليه السلام خطابه، وكلام النّبيّ عليه السلام كلامه، وإخبار النّبيّ عليه السلام إخباره، وبيان النّبيّ عليه السلام بيانه، وطاعة النّبيّ عليه السلام طاعته، ومعصيّة النّبيّ عليه السلام معصيته، وسنّة النّبيّ عليه السلام سبيله، واتّباع النّبيّ عليه السلام دليله، فأعلنت الملائكة بنفس الأمر كما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ”فمن أطاع محمّدًا فقد أطاع الله، ومن عصى محمّدًا فقد عصى الله، ومحمّدٌ فرّق بين النّاس.“ أخرجه البخاري.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما روى أبوهريرة رضي الله عنه: ”من

أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله.'' متفق عليه.

وقال الله تعالى: ﴿اَللّٰهُ اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهٗ﴾ [الأنعام، ٦:١٢٤]. هذه الآية دلّت على أنّ الرّسالة نعمةٌ عظيمةٌ، ومنزلةٌ رفيعةٌ، ولا يعلم إلّا الله تعالى بمن يُكرمه بهذه المكانة وبمن يجعله محل الرّسالة، لأنّ قول الرّسول ليس كمثل قول أحد من البشر إنّما هو قول من عند الله تعالى كما قال الله عزّوجلّ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى○ اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُّوْحٰى○﴾ [النجم، ٥٣:٣].

❁ وَفِعْلُ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل فعل أحد من البشر إنّما هو فعل بإذن الله تعالى كما قال الله عزّوجلّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ رَمٰى﴾ [الأنفال، ٨:١٧].

❁ وَصِرَاطَ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل صراط أحد مّن البشر، إنّما هو صراط الله تعالى كما قال الله عزّوجلّ: ﴿وَهٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيْمًا﴾ [الأنعام، ٦:١٢٦].

❁ وَرِضَا الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل رضا أحد مّن البشر إنّما هو رضا الله تعالى كما قال الله عزّوجلّ: ﴿اللّٰهُ وَ رَسُوْلُهٗٓ

اَحَقُّ اَنْ يُّرْضُوْهُ اِنْ كَانُوْا مُؤْمِنِيْنَo﴾ [التوبة، ٩:٦٢].

❁ وَعَطَاءُ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل عطاء أحد مّن البشر إنّما هو عطاء الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ اَنَّهُمْ رَضُوْا مَآ اٰتٰهُمُ اللهُ وَ رَسُوْلُهٗ﴾ [التوبة، ٩:٥٩].

❁ وَفَضْلُ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل فضل أحد مّن البشر إنّما هو فضل الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿وَ قَالُوْا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِيْنَا اللهُ مِنْ فَضْلِهٖ وَ رَسُوْلُهٗٓ لا اِنَّآ اِلَى اللهِ رٰغِبُوْنَo﴾ [التوبة، ٩:٥٩].

❁ وَإِغْنَاءُ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل إغناء أحد مّن البشر إنّما هو إغناء الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا نَقَمُوْٓا اِلَّآ اَنْ اَغْنٰـهُمُ اللهُ وَرَسُوْلُهٗ مِنْ فَضْلِهٖ﴾ [التوبة، ٩:٧٤].

❁ وَإِنْعَامُ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل إنعام أحد مّن البشر إنّما هو إنعام الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَاَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب، ٣٣:٣٧].

❁ وَالْأَدَبُ مَعَ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل أدب أحد مّن البشر إنّما هو الأدب مع الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿يٰٓاَيُّهَا

الَّذِيۡنَ اٰمَنُوۡا لاَ تُقَدِّمُوۡا بَيۡنَ يَدَیِ اللّٰهِ وَ رَسُوۡلِهٖ وَ اتَّقُوا اللّٰهَ ؕ اِنَّ اللّٰهَ سَمِيۡعٌ عَلِيۡمٌ○﴾ [الحجرات، ٤٩:١].

❁ وَتَعْظِيمُ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل تعظيم أحد مّن البشر إنّما هو تعظيم الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿اِنَّآ اَرۡسَلۡنٰکَ شَاهِدًا وَّمُبَشِّرًا وَّنَذِيۡرًا ○ لِّتُؤۡمِنُوۡا بِاللّٰهِ وَرَسُوۡلِهٖ وَتُعَزِّرُوۡهُ وَتُوَقِّرُوۡهُ ؕ وَتُسَبِّحُوۡهُ بُکۡرَةً وَّاَصِيۡلًا ○﴾ [الفتح، ٤٨:٨-٩].

❁ وَالْبَيْعَةُ عَلَى يَدِ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل بيعة أحد مّن البشر إنّما هي بيعة الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿اِنَّ الَّذِيۡنَ يُبَايِعُوۡنَکَ اِنَّمَا يُبَايِعُوۡنَ اللّٰهَ ؕ يَدُ اللّٰهِ فَوۡقَ اَيۡدِيۡهِمۡ ۚ﴾ [الفتح، ٤٨:١٠].

❁ وَدُعَاءُ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل دعاء أحد مّن البشر إنّما هو دعاء الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿لَا تَجۡعَلُوۡا دُعَآءَ الرَّسُوۡلِ بَيۡنَکُمۡ کَدُعَآءِ بَعۡضِکُمۡ بَعۡضًا ؕ﴾ [النور، ٢٤:٦٣]. وقوله: ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيۡنَ اٰمَنُوا اسۡتَجِيۡبُوۡا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُوۡلِ اِذَا دَعَاکُمۡ لِمَا يُحۡيِيۡکُمۡ﴾ [الأنفال، ٨:٢٤].

❁ وَمِلْكُ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل ملك أحد مّن البشر إنّما هو ملك الله تعالى كما قال الله عزّوجلّ: ﴿يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الْاَنْفَالِ ط قُلِ الْاَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُوْلِ ج﴾ [الأنفال، ٨: ١].

❁ وَإِطَاعَةُ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل إطاعة أحد مّن البشر إنّما هي إطاعة الله تعالى كما قال الله عزّوجلّ: ﴿مَنْ يُّطِعِ الرَّسُوْلَ فَقَدْ اَطَاعَ اللّٰهَ ج وَ مَنْ تَوَلّٰى فَمَآ اَرْسَلْنٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظًا ○﴾ [النساء، ٤: ٨٠]. وقوله: ﴿تِلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ ط وَ مَنْ يُّطِعِ اللّٰهَ وَ رَسُوْلَهٗ يُدْخِلْهُ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ط وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ○﴾ [النساء، ٤: ١٣]. وقوله: ﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَطِيْعُوا اللّٰهَ وَاَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ وَلَا تُبْطِلُوْٓا اَعْمَالَكُمْ ○﴾ [محمد، ٤٧: ٣٣].

❁ وَمَعْصِيَّةُ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل معصيّة أحد مّن البشر إنّما هي معصيّة الله تعالى كما قال الله عزّوجلّ: ﴿وَمَنْ يَّعْصِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ وَيَتَعَدَّ حُدُوْدَهٗ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيْهَا وَلَهٗ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ ○﴾ [النساء، ٤: ١٤]. وقوله: ﴿اِلَّا بَلٰغًا مِّنَ اللّٰهِ وَرِسٰلٰتِهٖ ط وَمَنْ يَّعْصِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ فَاِنَّ لَهٗ نَارَجَهَنَّمَ خٰلِدِيْنَ فِيْهَآ

اَبَدًا﴾ [الجن، ۷۲:۲۳].

❁ وَمَشَاقَّةُ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل مشاقّة أحد مّن البشر إنّما هي مشاقّة الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ شَآقُّوا اللهَ وَرَسُوْلَهٗ وَمَنْ يُّشَاقِقِ اللهَ وَرَسُوْلَهٗ فَاِنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال، ۸:۱۳]. وقوله: ﴿ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ شَآقُّوا اللهَ وَرَسُوْلَهٗ ج وَمَنْ يُّشَآقِّ اللهَ فَاِنَّ اللهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر، ۵۹:۴].

❁ وَبَرَاءَةٌ مِّنَ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل براءة أحد مّن البشر إنّما هي براءة الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُوْلِهٖ اِلَى الَّذِيْنَ عٰهَدْتُّمْ مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾ [التوبة، ۹:۱].

❁ وَأَذَانٌ مِّنَ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل أذان أحد مّن البشر إنّما هي أذان من الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿وَاَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُوْلِه اِلَي النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْاَكْبَرِ اَنَّ اللهَ بَرِيْٓءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَرَسُوْلُهٗ﴾ [التوبة، ۹:۳].

❁ وَأَذِيَّةُ الرَّسُوْلِ ﷺ ليس كمثل أذيّة أحد من

البشر إنّما هي أذيّة الله تعالى، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَاَعَدَّلَهُمْ عَذَابًا مُّهِيْنًا○﴾ [الأحزاب، ٣٣:٥٧].

۞ **وَغَضُّ الْأَصْوَاتِ عِنْدَ الرَّسُوْلِ** ﷺ تعظيماً له ليس كمثل إكرام أحد مّن البشر إنّما هي عبادة الله وتقوى القلوب كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَغُضُّوْنَ اَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُوْلِ اللّٰهِ اُولٰئِكَ الَّذِيْنَ امْتَحَنَ اللّٰهُ قُلُوْبَهُمْ لِلتَّقْوٰى ط لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّاَجْرٌ عَظِيْمٌ○﴾ [الحجرات، ٤٩:٣].

۞ **وَمَحَبَّةُ الرَّسُوْلِ** ﷺ ليس كمثل محبة أحد مّن البشر إنّما هي محبة الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ اِنْ كَانَ اٰبَاؤُكُمْ وَاَبْنَآؤُكُمْ وَاِخْوَانُكُمْ وَاَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيْرَتُكُمْ وَاَمْوَالُ نِ اقْتَرَفْتُمُوْهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ اَحَبَّ اِلَيْكُمْ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَجِهَادٍ فِيْ سَبِيْلِهٖ فَتَرَبَّصُوْا حَتّٰى يَاْتِيَ اللّٰهُ بِاَمْرِهٖ ط وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰسِقِيْنَ○﴾ [التوبة، ٩:٢٤].

۞ **وَاتِّبَاعُ الرَّسُوْلِ** ﷺ ليس كمثل اتّباع أحد مّن

البشر إنّما هي محبة الله ومغفرة منه كما قال الله ﷻ: ﴿قُلۡ اِنۡ كُنۡتُمۡ تُحِبُّوۡنَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُوۡنِىۡ يُحۡبِبۡكُمُ اللّٰهُ وَيَغۡفِرۡلَكُمۡ ذُنُوۡبَكُمۡ ؕ وَاللّٰهُ غَفُوۡرٌ رَّحِيۡمٌ ۝﴾ [آل عمران، ٣:٣١].

❁ وَالدَّعۡوَةُ إِلَى الرَّسُوۡلِ ﷺ ليس كمثل الدعوة إلى أحد مّن البشر إنّما هي الدعوة إلى الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿وَاِذَا قِيۡلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡا اِلٰى مَا اَنۡزَلَ اللّٰهُ وَاِلَى الرَّسُوۡلِ رَاَيۡتَ الۡمُنٰفِقِيۡنَ يَصُدُّوۡنَ عَنۡكَ صُدُوۡدًا ۝﴾ [النساء، ٤:٦١]. وقوله: ﴿اِذَا دُعُوۡۤا اِلَى اللّٰهِ وَرَسُوۡلِهٖ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ اَنۡ يَّقُوۡلُوۡا سَمِعۡنَا وَاَطَعۡنَا ؕ﴾ [النور، ٢٤:٥١].

❁ وَمُحَادَّةُ الرَّسُوۡلِ ﷺ ليس كمثل محادّة أحد مّن البشر إنّما هي محادّة الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿اَلَمۡ يَعۡلَمُوۡۤا اَنَّهٗ مَنۡ يُّحَادِدِ اللّٰهَ وَرَسُوۡلَهٗ فَاَنَّ لَهٗ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيۡهَا ؕ ذٰلِكَ الۡخِزۡىُ الۡعَظِيۡمُ ۝﴾ [التوبة، ٩:٦٣]. وقوله: ﴿اِنَّ الَّذِيۡنَ يُحَآدُّوۡنَ اللّٰهَ وَرَسُوۡلَهٗۤ اُولٰٓئِكَ فِى الۡاَذَلِّيۡنَ ۝﴾ [المجادلة، ٥٨:٢٠].

❁ وَتَحۡرِيۡمُ الرَّسُوۡلِ ﷺ ليس كمثل تحريم أحد مّن

البشر إنّما هو تحريم الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يُحَرِّمُوْنَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُوْلُهٗ﴾ [التوبة، ٩:٢٩].

❁ **وَقَضَاءُ الرَّسُوْلِ ﷺ** ليس كمثل قضاء أحد مّن البشر إنّما هو قضاء الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَّلَامُؤْمِنَةٍ اِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُوْلُهٗ اَمْرًا اَنْ يَّكُوْنَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ اَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب، ٣٣:٣٦].

❁ **وَالْمُحَارَبَةُ مَعَ الرَّسُوْلِ ﷺ** ليس كمثل المحاربة مع أحد مّن البشر إنّما هي المحاربة مع الله تعالى كما قال الله ﷻ: ﴿اِنَّمَا جَزٰٓؤُا الَّذِيْنَ يُحَارِبُوْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهٗ وَيَسْعَوْنَ فِى الْاَرْضِ فَسَادًا اَنْ يُّقَتَّلُوْٓا اَوْيُصَلَّبُوْٓا اَوْتُقَطَّعَ اَيْدِيْهِمْ وَاَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ اَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْاَرْضِ ؕ ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾ [المائدة، ٥:٣٣].

ونقل القاضي أبوالفضل عياض اليحصبي في ”الشفا“ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه: ”علم الله عجز خلقه من طاعته فعرّفهم ذالک، لكي يعلموا أنّهم لا ينالون العفو من

خدمته، فأقام بينهم وبينه مخلوقاً من جنسهم في الصّورة، وألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيرًا صادقًا وجعل طاعته، طاعته، وموافقته، موافقته فقال الله تعالى: ﴿مَنْ يُّطِعِ الرَّسُوْلَ فَقَدْ اَطَاعَ اللّٰهَ﴾ [النساء، ٤:٨٠]. وقال الله تعالى: ﴿وَمَا اَرْسَلْنٰکَ اِلَّا رَحْمَةً لِّلْعٰلَمِیْنَ ○﴾ [الأنبياء، ٢١:١٠٧].

وقال العلامة ابن تيمية في "الصارم المسلول": "وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقّين وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله ﷺ جهة واحدة فمن آذى الرّسول ﷺ فقد آذى الله ﷻ، ومن أطاعه فقد أطاع الله، لأنّ الأمّة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلّا بواسطة الرّسول، ليس لأحدٍ منهم طريق غيره، ولا سبب سواه، وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يفرّق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور. وقال: فيبيّن ذالک أنّ الله تعالى جعل محبته ومحبة رسوله ﷺ وإرضاءه وإرضاء رسوله ﷺ وطاعته وطاعة رسوله ﷺ شيئًا واحدًا وكذالک جعل شقاقه وشقاق

رسوله ﷺ ومحادّته ومحادة رسوله ﷺ وأذاه وأذى رسوله ﷺ ومعصيته ومعصية رسوله ﷺ شيئًا واحدًا حتّى وحّد الضمير له ولرسوله ﷺ في مواضع متعدّدةٍ وقال: ﴿وَاللهُ وَرَسُوْلُهٗٓ اَحَقُّ اَنْ يُّرْضُوْهُ﴾ [التوبة، ٩:٦٢]. وقال: ﴿وَمَا نَقَمُوْٓا اِلَّآ اَنْ اَغْنٰـهُمُ اللهُ وَرَسُوْلُهٗ مِنْ فَضْلِهٖ ج﴾ [التوبة، ٩:٧٤]. فثبت أنّ في توحيد الضمير لله ورسوله ﷺ حكمةٌ بالغةٌ وهي رفع التغاير في الحكم، فإذا رُفِعَ التغاير بينهما في الحكم تبيّن لنا الأمر بوحدة المصدرية والمرجعية في الأحكام كلها، وهذا كما صرّح به القاضي أبوالفضل عياض رحمه الله تعالى تقدير من الله تعالى لنبيّه ﷺ على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه وتنويهه بجليل مكانه ورتبته ورفع شأنه بقِرَانِ ذكره مع ذكره واسمه مع اسمه وطاعته مع طاعته وأمره مع أمره حتى بجمع بينهما بواو العطف المشرّكة أو بالضمير الواحد ولا يجوز الجمع مثله في غير حقه ﷺ إنَّ الله تعالى ذَكَرَه ﷺ في كلامه ﴿بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ﴾ كما رُوي عن أبي العالية والحسن البصري وعبد الرحمٰن بن زيد، وذكره ﷺ في كلامه ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقٰى﴾ كما رُوي عن أبي

عبد الرحمٰن السُّلَمي، وذكره ﷺ في كلامه ﴿بِنِعْمَةِ اللهِ﴾ كما رُوي عن سهل بن عبد الله، وذكره في كلامه ﴿بِمَثَلِ نُوْرِه﴾، كما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الأحبار رضي الله عنه وسعيد بن جبير، وذكره ﷺ في كلامه ﴿بِذِكْرِ اللهِ﴾ كما رُوي عن مجاهد، وذكره ﷺ في كلامه ﴿بِقَدَمِ صِدْقٍ﴾ كما رُوي عن مجاهد والحسن البصري وزيد بن أسلم، حتى ذكره ﷺ بجملة أوصافٍ من العزّة والمِدحة والعظمة والرّفعة والكرامة والرّتبة وجعله ﷺ شاهدًا على أمّته لنفسه بالرّسالة وألبسه ﷺ من صفاته لأمّته ﷺ بالطاعة.

لمّا بيّنا أنّ القرآن والسّنّة هما وحيان، فوجدنا في القرآن إيجاب السنّة، لأنّ كلام النّبيّ ﷺ كُلَّهُ وحيٌ، والوحي كلّ ما نطق به النّبيّ ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى ○ اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْیٌ یُّوْحٰی ○﴾ لأنّ الله تعالى ما جعل لنا قدرةً وصفةً وسعةً أن نسمع كلامه إلّا بواسطة فم الرّسول ﷺ ونعرف بيانه إلّا بواسطة نطق الرّسول ﷺ ونفهم أمره إلّا بواسطة حكم الرّسول ﷺ ونجعل طاعته إلّا بواسطة سنّة

الرّسول ﷺ.

لأنّه لم يتكلّم ﷺ بفمه عن هواه ﷺ بل سمع كلام الله تعالى مميّزا فصحّ سماعه فحدّثه الله تعالى وأخبره ونبّأه وقال له وذكر له ﷺ ما كان وما يكون بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ؕ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيْمًا﴾ [النساء، ٤:١١٣] وقوله: ﴿اَللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيْثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ [الزمر، ٣٩:٢٣]، وقوله: ﴿وَهَلْ اَتٰـكَ حَدِيْثُ مُوْسٰى﴾ [طٰه، ٢٠:٩]، وقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسٰٓى﴾ [الأعلى، ٨٧:٦] وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهٗ وَ قُرْآنَـهٗ ○ فَاِذَا قَرَاْنٰـهُ فَاتَّبِعْ قُرْاٰنَـهٗ ○ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَـهٗ ○﴾ [القيامة، ٧٥:١٧-١٩] وقوله: ﴿قَالَ نَبَّاَنِیَ الْعَلِيْمُ الْخَبِيْرُ○﴾ [التحريم، ٦٦:٣] وقوله: ﴿وَاِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْاٰنَ مِنَ لَّدُنْ حَكِيْمٍ عَلِيْمٍ○﴾ [النّمل، ٢٧:٦] وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنٰـهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِیْ لَهٗ اِنْ هُوَ اِلَّا ذِكْرٌ وَّ قُرْاٰنٌ مُّبِيْنٌ○﴾ [يٰسٓ، ٣٦:٦٩] وقوله: ﴿اِنَّا سَنُلْقِیْ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيْلًا○﴾ [المزّمل، ٧٣:٥] وقوله: ﴿ذٰلِكَ نَتْلُوْهُ عَلَيْكَ مِنَ الْاٰيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيْمِ○﴾ [آل عمران، ٣:٥٨]

وقوله: ﴿وَاَنَا اخۡتَرۡتُکَ فَاسۡتَمِعۡ لِمَا یُوۡحٰی﴾ [طٰه، ٢٠:١٣].

وأمر الله تعالى أمّته ﷺ **بالسّماع** عنه ﷺ بقوله: ﴿یٰۤاَیُّهَا الَّذِیۡنَ اٰمَنُوۡا لَا تَقُوۡلُوۡا رَاعِنَا وَقُوۡلُوا انۡظُرۡنَا وَاسۡمَعُوۡا﴾ [البقرة، ٢:١٠٤] وقوله: ﴿رَبَّنَاۤ اِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِیًا یُّنَادِیۡ لِلۡاِیۡمَانِ اَنۡ اٰمِنُوۡا بِرَبِّکُمۡ فَاٰمَنَّا﴾ [آل عمران، ٣:١٩٣]، وقوله: ﴿الَّذِیۡنَ یَسۡتَمِعُوۡنَ الۡقَوۡلَ فَیَتَّبِعُوۡنَ اَحۡسَنَهٗ﴾ [الزمر، ٣٩:١٨]، **فتحمّل** خطابه من رؤيةٍ باعتمادٍ واثقٍ وبفهمٍ كاملٍ **وأدّاه** ﴿عَلَّمَهٗ شَدِیۡدُ الۡقُوٰی ۙ ذُوۡ مِرَّةٍ ؕ فَاسۡتَوٰی ۙ﴾ [النجم، ٥٣:٥-٦]. **ثم قرأ** النّبي ﷺ ما قرأ وعرض على الله تعالى ما عرض طلبًا وتعلّمًا وتحدّثًا وتفهّمًا للتوثيق والتصديق بقوله تعالى: ﴿اِقۡرَاۡ بِاسۡمِ رَبِّکَ الَّذِیۡ خَلَقَ ۚ خَلَقَ الۡاِنۡسَانَ مِنۡ عَلَقٍ ۚ﴾ [العلق، ٩٦:١-٢] وقوله: ﴿اِقۡرَاۡ وَرَبُّکَ الۡاَکۡرَمُ ۙ الَّذِیۡ عَلَّمَ بِالۡقَلَمِ ۙ عَلَّمَ الۡاِنۡسَانَ مَا لَمۡ یَعۡلَمۡ ؕ﴾ [العلق، ٩٦:٣-٥] وقوله: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ الۡقُرۡآنَ جَعَلۡنَا بَیۡنَکَ وَ بَیۡنَ الَّذِیۡنَ لَا یُؤۡمِنُوۡنَ بِالۡآخِرَةِ حِجَابًا مَّسۡتُوۡرًا ۙ﴾ [الإسراء، ١٧:٤٥] وقوله: ﴿اَقِمِ الصَّلٰوةَ لِدُلُوۡکِ الشَّمۡسِ اِلٰی غَسَقِ الَّیۡلِ وَقُرۡاٰنَ الۡفَجۡرِ ؕ اِنَّ قُرۡاٰنَ الۡفَجۡرِ کَانَ

مَشْهُوْدًا﴾ [الإسراء، ١٧:٧٨] وقوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل، ٧٣:٤].

فأجازه إجازةً خاصّةً وعامّةً ليأذن لأمّته ﷺ إذناً خاصّا لخاصٍ وإذناً خاصاً لعامٍ وإذناً عامّاً لعامٍ وإذناً معيّناً لغير معيّنٍ وإذنًا غيرَ معيّن لجميع المسلمين والموجودين من الشاهدين والغائبين بقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنٰهُ إِلَيْکَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّوْرِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم، ١٤:١] وقوله: ﴿يٰٓاَيُّهَا النَّبِیُّ اِنَّا اَرْسَلْنٰکَ شَاهِدًا وَّ مُبَشِّرًا وَّ نَذِيْرًا وَّ دَاعِيًا اِلَى اللهِ بِاِذْنِهٖ وَ سِرَاجًا مُّنِيْرًا﴾ [الأحزاب، ٣٣:٤٥-٤٦] وقوله: ﴿وَمَآ اَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا لِيُطَاعَ بِاِذْنِ اللهِ﴾ [النساء، ٤:٦٤] وقوله: ﴿وَاَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى، ٩٣:١١] وقوله: ﴿فَذَكِّرْ قف اِنَّمَا اَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية، ٨٨:٢١] وقوله: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْاٰنِ مَنْ يَّخَافُ وَعِيْدِ﴾ [ق، ٥٠:٤٥] وقوله: ﴿اِنَّآ اَنْزَلْنَآ اِلَيْکَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ اَرٰىکَ اللهُ﴾ [النساء، ٤:١٠٥] وقوله: ﴿وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنٰکَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَّ نَذِيْرًا وَقُرْآنًا

فَرَقْنٰـهُ لِتَقْرَاَهٗ عَلَى النَّاسِ عَلٰى مُكْثٍ وَّ نَزَّلْنٰـهُ تَنْزِيْـلًاo﴾ [الإسراء، ۱۷:۱۰۵-۱۰۶]. وهٰكذا إذناً للأطفال بقوله: ﴿وَ اٰتَيْنٰـهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم، ۱۹:۱۲] وإذناً للمعدومين الّذين وُلِدُوا بعده ﷺ ويُولدون في آخر أمّته ﷺ وآخر زمانه ﷺ بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِىْ بَعَثَ فِى الْاُمِّيّٖنَ رَسُوْلًا مِّنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ اٰيٰـتِهٖ وَ يُزَكِّيْهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَ اِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلُ لَفِىْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ o وَّاٰخَرِيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوْا بِهِمْ ؕ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُo﴾ [الجمعة، ٦٢:٢-٣].

وروى أبو هريرة ﷺ قال: ”كنّا جلوسا عند النّبيّ ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَّاٰخَرِيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوْا بِهِمْ﴾ [الجمعة، ٦٢:٣] قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثـلاثا، وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هولاء.“ متفق عليه وهذا لفظ البخاري.

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ”لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس أو قال: من أبناء فارس،

حتى يتناوله.'' رواه مسلم. وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ''لو كان الدِّين عند الثريا لذهب رجل من فارس أو أبناء فارس حتى يتناوله.'' رواه أحمد. وعنه ﷺ: ''يوشک أن يضرب الناس (الرجل) أكباد الإبل يطلبون العلم.'' وفي رواية: ''يخرج الناس من المشرق والمغرب، فلا يجدون أحدًا أعلم من عالم المدينة.'' رواه الترمذي والنسائي والحاكم.

وعن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ''لا تسبوا قريشاً، فإنّ عالمها يملأ طباق الأرض علمًا.'' وفي رواية: ''اللّهم اهد قريشًا.'' رواه الطيالسي وابن أبي عاصم والخطيب. وعن معاوية ﷺ قال: سمعت النّبي ﷺ يقول: ''لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلک.'' متفق عليه وهذا لفظ البخاري.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ''والّذي نفس محمّد ﷺ بيده، ليأتينّ على أحدكم يوم ولا يراني، ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم.'' متفق عليه وهذا لفظ مسلم. وعن أنس بن مالک ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"وددتُ أني لقيت إخواني، قال: فقال أصحاب النّبي ﷺ: أو ليس نحن إخوانک؟ قال: أنتم أصحابي، ولكن إخواني الذين أمنوا بي ولم يروني." رواه أحمد. وعن أبي أمامة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: "طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وآمن بي." رواه أحمد وابن حبّان. وعن أبي جمعة ﷺ قال: "تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبوعبيدة بن الجراح ﷺ، قال: قال: يا رسول الله، هل أحد خير منّا؟ أسلمنا معک، وجاهدنا معک، قال: نعم، قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني." رواه أحمد والدارمي والطبراني وقال الهيثمي: رجاله ثقات. وعن عبد الرّحمٰن بن العلاء الحضرميّ ﷺ قال: حدثني من سمع النّبي ﷺ يقول: "إنّه سيكون في آخر هذه الأمّة قوم لهم مثل أجر أولهم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقاتلون أهل الفتن." رواه البيهقي في الدلائل والسيوطي في المفتاح.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "مِن أشدّ أمّتي لي حبًّا، ناس يكونون بعدي، يودّ أحدهم لو رآني، بأهله

وماله.'' رواه مسلم وأحمد.

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ''إنّ أناسًا من أمّتي يأتون بعدي يودّ أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله.'' رواه الحاكم. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ''مثل أمّتي مثل المطر، لا يُدرى أوّله خير أم آخره.'' رواه الترمذي وحسّنه وأحمد والبزار وإسناده أحسن.

فَأَخْبَرَ الْعِبَادَ بِهِ ﷺ عَنْ جَمِيْعِ الْوَسَائِطِ وَالْوَسَائِلِ لِلْإِيْصَالِ وَالْإِعْطَاءِ وَالتَّحَمُّلِ وَالْأَدَاءِ مِنَ الْمُنَاوَلَةِ وَالْمُكَاتَبَةِ وَالْإِعْـلَامِ وَالْوَصِيَّةِ وَالْوِجَادَةِ. فأمّا المناولة مع الإجازة فلها إشارة في قوله تعالى: ﴿يٰيَحْيٰى خُذِ الْكِتٰبَ بِقُوَّةٍ ط وَاٰتَيْنٰهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم، ١٩:١٢] وقوله: ﴿وَلَا يَنَالُوْنَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً اِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهٖ عَمَلٌ صَالِحٌ اِنَّ اللهَ لَا يُضِيْعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ○ وَلَا يُنْفِقُوْنَ نَفَقَةً صَغِيْرَةً وَّلَا كَبِيْرَةً وَّلَا يَقْطَعُوْنَ وَادِيًا اِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ اَحْسَنَ مَاكَانُوْا يَعْمَلُوْنَ○ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُوْنَ لِيَنْفِرُوْا كَآفَّةً ط فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوْا فِى الدِّيْنِ وَلِيُنْذِرُوْا قَوْمَهُمْ اِذَا رَجَعُوْا

اِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُوۡنَ۝﴾ [التوبة، ٩: ١٢٠ـ١٢٢].

فيشير الحديث النبويّ ﷺ في المناولة مع الإجازة الّذي روى ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: ''كان الدِّين معلّقًا بالثريّا لتناوله ناس من أبناء فارس.'' رواه الطبراني وابن أبي شيبة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ''لو كان العلم بالثريا لتناوله ناس من أهل (أبناء) فارس.'' رواه أحمد وابن حبان. وقال الهيثمي: رواه أبويعلى والبزار والطبراني ورجالهم رجال الصحيح.

وعنه رضي الله عنه عن النّبي ﷺ قال: ''ويل للعرب من شرٍ قد اقترب، أفلح من كفّ يده، تقرّبوا يا بني فرّوخ إلى الله، فإنّ العرب قد أعرضت، ووالله، إنّ منكم لرجالاً لو كان العلم بالثريا لنالوه.'' رواه الطحاوي. وعنه رضي الله عنه عن النّبي ﷺ قال: ''اقتربوا يا بني فرُّوخ، إلى الذِّكر، والله، إنّ منكم لرجالاً لو أنّ العلم كان معلقًا بالثّريّا لتناولوه.'' رواه البيهقي. وعنه رضي الله عنه عن النّبي ﷺ قال: ''ادنوا يا معشر الموالي، إلى الذكر، فإن العرب قد أعرضت وإن الإيمان لو كان معلقًا بالعرش كان

منكم من يطلبه.“ رواه أبو نعيم في تاريخه.

والمناولة من غير الإجازة: بقوله تعالى: ﴿اُولٰٓئِکَ يَنَالُهُمُ نَصِيُبُهُمُ مِّنَ الُكِتٰبِ ط﴾ [الأعراف، ٧:٣٧] وسنّ النّبي ﷺ المناولة لأمته حينما كتب لأمير السرية كتابًا وقال: لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا فلما بلغ ذالک المكان قرأه على النّاس وأخبرهم بأمر النّبي ﷺ. رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فعلّمه الله تعالى بالمكاتبة بقوله تعالى: ﴿ذٰلِکَ الُكِتَابُ لَا رَيُبَ فِيُهِ هُدًى لِّلُمُتَّقِيُنَo﴾ [البقرة، ٢:٣]. وقوله: ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ اَنَا وَرُسُلِيُ ط اِنَّ اللهَ قَوِیٌّ عَزِيُزٌ o﴾ [المجادلة، ٥٨:٢١]، وقوله: ﴿وَكَتَبُنَا لَهٗ فِی الُاَلُوَاحِ مِنُ كُلِّ شَیُءٍ مَّوُعِظَةً﴾ [الأعراف، ٧:٢١]، وقوله: ﴿وَلُيَكُتُبُ بَيُنَكُمُ كَاتِبٌ بِالُعَدُلِ وَلَا يَاُبَ كَاتِبٌ اَنُ يَّكُتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُo﴾ [البقرة، ٢:٢٨٢]، وقوله: ﴿اِذَا تَدَايَنُتُمُ بِدَيُنٍ اِلٰی اَجَلٍ مُّسَمًّی فَاكُتُبُوُهُ﴾ [البقرة، ٢:٢٨٢]، وقوله: ﴿فَمَنُ اُوُتِیَ كِتَابَهٗ بِيَمِيُنِهٖ فَاُولٰٓئِکَ يَقُرَءُوُنَ كِتَابَهُمُ﴾ [الإسراء، ١٧:٧١] وقوله:

﴿اِذْهَبْ بِّكِتٰبِيْ هٰذَا فَاَلْقِهْ اِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُوْنَ﴾ [النمل، ٢٧:٢٨].

وسنّ النّبيّ ﷺ المكاتبة لأمّته حينما قال ﷺ: "اكتبوا لأبي شاهٍ." رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة. وأمر ﷺ لرجل من الأنصار الّذي كان يسمع من النّبي ﷺ الحديث فيعجبه ولا يحفظه فقال له رسول الله ﷺ: "استعن بيمينک وأومأ بيده الخط." رواه الترمذي عن أبي هريرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلت: "يا رسول الله، إنّي أسمع منک الشيء أفأكتبه؟ قال: نعم. قال: وفي الغضب والرّضا؟ قال: نعم. فإنّي لا أقول فيهما إلا حقّاً." رواه أبوداود والحاكم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "ليس أحدٌ من أصحاب النّبي ﷺ أكثر حديثًا عنه منّي إلا ما كان من عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فإنّه كان يكتب ولا أكتب." رواه البخاري وعن أنسٍ رضي الله عنه موقوفاً: "قيّدوا العلم بالكتاب." رواه الحاكم وعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ﷺ: إنّا نسمع منک أشياء أفأكتبها؟ قال: "اكتبوا ذالک ولا

حرج.“ أسند الرامهرمزي بسنده في المحدث الفاضل وبعث رسول الله ﷺ بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة رضي الله عنه السّهمي فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى. رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال أبوسفيان: كتب النّبي ﷺ إلى هرقل: ”تعالوا إلى كلمةٍ سوآءٍ بيننا وبينكم.“ رواه البخاري. وكان النّبيّ ﷺ يكتب إلى ولاته وقضاته وعماله بالأحكام ومن ذالک رسالته إلى قيصر الروم، وإلى أمير بصرى، وإلى الحارث بن أبي شمر أمير دمشق من قبل هرقل، وإلى المقوقس أمير مصر من قبل هرقل، يدعوهم إلى الإسلام كما وجّه كتبه إلى النّجاشي ملک الحبشة وإلى كسرى ملک الفارس وإلى المنذر بن ساوي ملک البحرين وأرسل كتبه ورسله إلى اليمن وعمان واليمامة وغيرها من الملوک والأمراء ورؤساء القبائل ليبيّن لهم الإسلام ويدعوهم إليه.

فعلّمه الله تعالى بالإعلام بقوله: ﴿فَاعْلَمْ اَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِکَ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ ط وَاللّٰهُ يَعْلَمُ

مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوٰكُمْ﴾ [محمد، ١٩:٤٧]، وقوله: ﴿فَاِنْ لَّمْ يَسْتَجِيْبُوْا لَکَ فَاعْلَمْ اَنَّمَا يَتَّبِعُوْنَ اَهْوَآءَهُمْ ط﴾ [القصص، ٥٠:٢٨]، وقوله: ﴿وَاتَّقُوْا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّکُمْ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ○﴾ [البقرة، ٢٠٣:٢]، وقوله: ﴿مَا کُنْتَ تَعْلَمُهَا اَنْتَ وَلَا قَوْمُکَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا ط﴾ [هود، ٤٩:١١]، وقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَاَهٗ بَعْدَ حِيْنٍ○﴾ [ص، ٨٨:٣٨]، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْکِتٰبَ وَالْحِکْمَةَ وَالتَّوْرٰةَ وَالْاِنْجِيْلَ﴾ [آل عمران، ٤٨:٣]، وقوله: ﴿اٰتَيْنٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَ عَلَّمْنٰهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا○﴾ [الكهف، ٦٥:١٨] وقوله: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَاَکَ هٰذَا ط قَالَ نَبَّاَنِیَ الْعَلِيْمُ الْخَبِيْرُ○﴾ [تحريم، ٣:٦٦] وقوله: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوْا لَنْ نُّؤْمِنَ لَکُمْ قَدْ نَبَّاَنَا اللّٰهُ مِنْ اَخْبَارِکُمْ ط﴾ [التوبة، ٩٤:٩].

وعلّمه الله تعالى بالوصيّة بقوله: ﴿شَرَعَ لَکُمْ مِّنَ الدِّيْنِ مَا وَصّٰی بِهٖ نُوْحًا وَّالَّذِیْ اَوْحَيْنَآ اِلَيْکَ﴾ [الشورى، ١٣:٤٢] وقوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْکِتٰبَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَاِيَّاکُمْ اَنِ اتَّقُوْا اللّٰهَ﴾ [النساء، ١٣١:٤] وقوله: ﴿وَصَّيْنَا بِهٖٓ اِبْرَاهِيْمَ وَمُوْسٰی وَعِيْسٰی اَنْ اَقِيْمُوا الدِّيْنَ وَلَا تَتَفَرَّقُوْا فِيْهِ﴾

[الشورى، ٤٢:١٣] فأمّا الوصية حين يحضر الموت فجعل إشارتها في قوله تعالى: ﴿وَ وَصّٰی بِهَا اِبْرٰهٖمُ بَنِيْهِ وَيَعْقُوْبُ ط يٰبَنِیَّ اِنَّ اللهَ اصْطَفٰی لَكُمُ الدِّيْنَ فَلَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ○ اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوْبَ الْمَوْتُ اِذْ قَالَ لِبَنِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ م بَعْدِیْ ط قَالُوْا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اٰبَآئِكَ اِبْرَاهِيْمَ وَ اِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ اِلٰهًا وَّاحِدًا ج وَّ نَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ○﴾ [البقرة، ٢:١٣٢-١٣٣] وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ اِذَا حَضَرَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ اِنْ تَرَكَ خَيْرَا ن الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة، ٢:١٨٠] وقوله: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ اِذَا حَضَرَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِيْنَ الْوَصِيَّةِ اثْنٰنِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ [المائدة، ٥:١٠٦].

وسنّ النّبيّ ﷺ الوصيّة لأمّته ﷺ لتحمّل حديثه ﷺ وأدائه حينما وصّى لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ولأبي موسى الأشعري رضي الله عنه عندما وجّههما إلى اليمن فقال عليه الصلاة والسلام: ”يسّرا ولا تعسّرا وبشّرا ولا تنفّرا.“ رواه البخاري. كان ذالک في السّنة التاسعة للهجرة. وقال رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: ”إنّک ستأتي قومًا من أهل كتاب، فادعهم إلى

شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، فإن هم أطاعوا لذالک فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوٰت في كلّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذالک، فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترُدّ في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذالک، فإيّاک وكرائم أموالهم، واتّق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.'' رواه مسلم. وأقبلت وفود العرب من سائر أطراف الجزيرة يبايعون الرّسول ﷺ بعد فتح مكة وحجّة الوداع وكانت بعض الوفود تقيم عنده ﷺ أيامًا وكان رسول الله ﷺ يجعل لهم الوصيّة والنّصيحة ثم تعود إلى قبائلها تبلّغهم وصيّة النّبي المصطفى ﷺ وتعليمات الدين المجتبى. ومن هذه الوفود كان وفد ضمام بن ثعلبة، ووفد عبد القيس ووفود بني حنيفة وطيء وكِندة، ووفد رسول ملوک حمير فبعث إليهم النّبي ﷺ كتابًا يخبرهم عن الإسلام ويحثّهم على طاعة الله والرّسول والتّمسک بدِينه وفيه وصيّته ﷺ لهم برسله وبعوثه ويوصيهم الخير في الرعية وقدمت وفود همدان ووفود ثعلبة وبني سعد وغيرها كثيرة ووصّى بها رسول الله ﷺ قولاً وكتابة.

وأكرمه الله تعالى بالوِجادَةِ بقوله: ﴿اَلَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ النَّبِىَّ الْاُمِّيَّ الَّذِىْ يَجِدُوْنَهٗ مَكْتُوْبًا عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرٰةِ وَ الْاِنْجِيْلِ﴾ [الأعراف، ٧:١٥٧] وقوله: ﴿مَا تُقَدِّمُوْا لِاَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوْهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَّاَعْظَمَ اَجْرًا﴾ [المزمل، ٧٣:٢٠] وقوله: ﴿لَعَلِّىْٓ اٰتِيْكُمْ مِّنْهَا بِقَبَسٍ اَوْ اَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طٰه، ٢٠:١٠] وقوله: ﴿وَوَجَدُوْا مَا عَمِلُوْا حَاضِرًا ط وَلَا يُظْلِمُ رَبُّكَ اَحَدًا﴾ [الكهف، ١٨:٤٩] وقوله: ﴿قُلْ لَّآ اَجِدُ فِىْ مَآ اُوْحِىَ اِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلٰى طَاعِمٍ يَّطْعَمُهٗٓ اِلَّآ اَنْ يَّكُوْنَ مَيْتَةً اَوْ دَمًا مَّسْفُوْحًا﴾ [الأنعام، ٦:١٤٥] وقوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِىْ عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَّوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف، ١٨:٨٦] وقوله: ﴿اِنِّىْ وَجَدْتُّ امْرَاَةً تَمْلِكُهُمْ وَاُوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل، ٢٧:٢٣].

وسنّ النّبي ﷺ الوجادة لأمّته حينما قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ''أَيُّ الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟ قالوا: الملائكة. قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ قالوا: فالنّبيّون. قال: وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم، قالوا:

فنحن. قال: ومالكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّ أعجب الخلق إليّ إيمانًا لقوم يكونون من بعدي يجدون صحفًا فيها كتاب يؤمنون بما فيها." رواه عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جدّه عن النّبي ﷺ أخرجه أحمد والحاكم والبزّار والطبّراني. وفي رواية: "أولئک أعظم أجرًا منكم." وفي رواية: "فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيمانًا."

وشرّفه بأعلى الطّرق حين عرج به ﷺ من المكان النّازل إلى المقام العالي حتّى ظهر لمستوى يسمع فيه صرير الأقلام. رواه البخاري ومسلم عن طريق ابن شهاب الزّهري عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورفعه إليه حتّى راٰه وفاز من اللّقاء والسّماع بالأماني والأمالي فرجع محدثًا لأمته بما أخذه في رحلته عن العليم الخبير في العاجل والآجل وجعل الله أخبار إسرآئه ومعراجه ﷺ متواترة مشهورة وآثار دنوّه ودلوه عزيزة مستفيضة وأحوال لقائه ورؤيته غريبة وحيدة لأنه تعالى دنا وقَرُب من حبيبه الأولى ﷺ فتدلّى على المقام الأجلى وزاد في قرب الإبانة والكرام لعظيم منزلته ولتشريف رتبته

وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته من اللہ تعالی له مبرّة وتأنيسًا وبسطًا وإكرامًا وفضـلًا وإنعامًا: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنٰى﴾ [النجم، ٥٣:٩] حتّى فارقه جبريل وانقطعت عنه الأصوات وسمع كلام ربّه ﷻ وهو يقول: "ليهدأ روعک يا محمد، اُدْنُ، اُدْنُ." رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. وعن أنس رضي الله عنه: "ودنا الجبّار ربّ العزّة فتدلّى حتّى كان منه قاب قوسين أو أدنى." رواه البخاري في الصحيح عن طريق مسلم بن إبراهيم عن هشام عن قتادة عن أنس. ومكّنه ﷺ من المقام الأعلى، حيث انعدم هناک الحال والمقام، ولم تبق هناک النفوس والقلوب والعقول والأوهام، وفنيت جميع الظّلم والأنوار وذهب الفوق والتحت، والجنة والنار، وعدم كل قاب ورفرف، ولم يبق جناح ولا ملک أشرف، واتحد هناک السؤال والجواب، وزال المكتوب والكتاب، والحضور والغياب، وصار المجيب هو المجاب: ﴿ فَأَوْحٰى اِلٰى عَبْدِهٖ مَا اَوْحٰى﴾ [النجم، ٥٣:١٠] فكلّم الربّ عبده ﷺ بلا واسطة حين شرّفه برؤيته بلاحجاب كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُّكَلِّمَهُ اللهُ اِلَّا وَحْيًا اَوْ مِنْ وَّرَآئِ حِجَابٍ اَوْ

يُرْسِلَ رَسُوْلًا فَيُوْحِيَ بِاِذْنِهٖ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى، ٤٢:٥١].

ذكرﷻ ثلاثة أقسامٍ من كلامه، فالأوّل: من وراء حجاب، هٰذا كتكليم موسى عليه السلام، والثاني: بإرسال الملائكة رسلا، هذا كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبيّنا ﷺ. والثالث: قوله: وحيًا فلم يبق من صور الكلام إلّا المشافهة مع المشاهدة فهذا كحال النّبي المصطفى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج كما روى ابن عبّاس رضي الله عنهما: ''إنّه ﷺ رآه بعينه.'' أخرجه أحمد بإسنادٍ صحيحٍ. وأيّده تفسير الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِيْٓ اَرَيْنٰكَ اِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء، ١٧:٦٠] الّذي أخرجه البخاري في الصحيح عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: ''هي رؤيا عين أُرِيها رسول الله ﷺ ليلة أسري به.'' ورُوي ذالک عنه من طرقٍ وقال: ''إنّ الله تعالى اختصّ موسى عليه السلام بالكلام وإبراهيم عليه السلام بالخلّة ومحمّدًا ﷺ بالرّؤية.'' أخرجه النّسائي وابن أبي عاصم في السّنّة وابن خزيمة في التّوحيد والطبراني في الأوسط وصحّحه الحاكم ووافقه الذّهبي.

وروى الترمذي عن الشعبي قال لقي ابن عباس رضي الله

عنهما كعباً بعرفة فسأله عن شيءٍ فكبّر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: إنّا بنو هاشم، فقال كعبٌ ﷺ: "إنّ الله قسّم رؤيته وكلامه بين محمّد وموسى، فكلّم موسى مرّتين ورآه محمّدٌ ﷺ مرّتين." وروى الترمذي عن عكرمة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما بإسناد حسن، قال: "رأى محمدٌ ﷺ ربّه، قلت: أليس الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ﴾ [الأنعام، ٦:١٠٣] قال: ويحك! ذاك إذا تجلّى بنوره الّذي هو نوره، وقد رأى محمّدٌ ﷺ ربّه مرّتين." وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: "قد رآه النّبي ﷺ." وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ. وروى في قوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأٰى○﴾ [النجم، ٥٣:١١] قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: "رآه بقلبهِ." وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ. وروى أيضاً عنه ﷺ في قول الله: ﴿وَلَقَدْ رَاٰهُ نَزْلَةً اُخْرٰى○ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهٰى○﴾ [النجم، ٥٣:١٣-١٤].

وروى مسلم عن عبد الله بن شفيق ﷺ قال: قلت لأبي ذرٍ ﷺ: "لو رأيتُ رسول الله ﷺ لسألته، فقال: عن أيّ شيءٍ كنت تسأله؟ قال: كنتُ أسأله هل رأيتَ ربّك؟ فقال

أبو ذرٍ ﷺ: قد سألته فقال: رأيتُ نورًا.'' وروى الترمذي ولفظه: ''نورٌ أنّي أراه.'' وقال: هذا حديثٌ حسنٌ، وروى أحمد في المسند قال: حدثّنا عفّان حدّثنا همّام حدّثنا قتادة عن عبد اللّٰه بن شقيقﷺ قال: قلت لأبي ذرّ ﷺ: ''لو رأيتُ رسول اللّٰه ﷺ لسألته قال: وماكنتَ تسأله قال: كنت أسأله هل رأى ربّه ﷻ قال: فإني قد سألته فقال: قد رأيته نورًا أنّي أراه. قال عفّان: بلغني عن ابن هشام يعني معاذًا أنه رواه عن أبيه كما قال همّام: قد رأيته.''

وروى أحمد أيضًا في المسند قال: حدّثنا وكيع وبَهْزٌ قالا: حدّثنا يزيد بن إبراهيم، عن قتادة قال بهز: حدّثنا قتادة: عن عبد اللّٰه بن شقيقﷺ قال: قلت لأبي ذرّﷺ: ''لو أدركتُ رسول اللّٰه ﷺ لسألته قال: عن أي شيء؟ قلت: هل رأيتَ ربّک فقال: قد سألته فقال: ''نورٌ أنّى أراه يعني على طريق الإيجاب.''

وأخرج مسلم في الصحيح عن عطاء التّابعي ﷺ مثله، وعن أبي العالية التابعي ﷺ وقال: ''رآه بفؤاده مرّتين.'' روى

ابن أبي حاتم عن محمّد بن كعب القرظي وربيع بن أنس رضي الله عنه أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم سُئل هل رأيتَ ربّک؟ قال: ''رأيته بفؤادي.'' وروى عبد الرزاق رضي الله عنه عن الحسن البصري التابعي رضي الله عنه ''أنّه كان يحلف بالله لقد رأى محمّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم ربّه.'' وروى ابن إسحاق رضي الله عنه عن مروان بن الحكم أنّه سأل أبا هريرة رضي الله عنه: ''هل رأى محمّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم ربّه؟ فقال: نعم.'' وحكى النّقاش عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنّه قال: ''أنا أقول بحديث ابن عبّاس رضي الله عنهما بعينه رآه حتىّ انقطع نفسه يعني نفس أحمد.'' وروى أبو عمر أحمد بن حنبل رضي الله عنه مثله وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن أبيه مثله. قال مثله معاذ بن جبل رضي الله عنه وابن عمر وعكرمة التابعي والإمام جعفر بن محمّد الصادق رضي الله عنه وقال أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه: ''أنّه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه وهكذا بقلبه وبفؤاده.''

ففهم من وحيه صريح المعنى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَاٰى﴾ [النجم، ٥٣: ١١] من حقائق القرب والوصل بين العبدية والأحدية، والفصل بين الحدثية والقَدمية، ﴿وَلَقَدْ رَاٰهُ نَزْلَةً

أُخْرٰیo﴾ [النجم، ١٣:٥٣] وما شغلته ملاحظة الملأ الأعلى، ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهٰی o﴾ [النجم، ١٤:٥٣] حيث تجتمع البداية والانتها ويكون الأزل والوقت والأبد سواء، ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَاْوٰیo﴾ [النجم، ١٥:٥٣] مستقر الواصلين الأحياء إذ شاهدوا جنة الذات وأنهار الصفات عن الورى، ﴿اِذْ يَغْشَی السِّدْرَةَ مَا يَغْشٰی o﴾ [النجم، ١٦:٥٣] من طرف الأسرار والأنوار في العُلٰى، ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰیo﴾ [النجم، ١٧:٥٣] وكيف يزيغ من القدم إلى العدم الذي لا يُرى.

إنّ الله أمرنا أن نحمد على مُرسَل آلائه ومرفوعها، ونشكر على مسلسل نعمائه وموصولها، بصحيح الحديث، وحسن الخبر، وقوي الأثر ما بين مؤتلف الفضل ومتّفقه ومختلف العدل ومفترقه، وشرّفه بأقوى سندٍ يتّصل به لأنّه هو الطّريق الموصلة إلى الغاية وهو الّذي يلجأ إليه ويُستند به ويُعتمد عليه وأنعمه بأعلى متن يُهتدى به لأنّه يخبر عن قول النّبي ﷺ وفعله ووصف النّبي ﷺ وتقريره ويراد بها السنن عند أهل الفن وأُرسل إلى الخلق كافة بشيرًا ونذيرًا، وأزال

عنهم بصحة التوحيد عِلَل الشّرك والفسق والكذب والضلال، وشرح الدين الصحيح بعُلّو العدالة وتمام الضبط في كل مقالٍ، وحفظه عن الشذوذ في كل مجالٍ وبلّغه بالسّلامة عن العلّة والطعن وسوء الحال، وشرّف سندنا من أوله إلى منتهاه بالاتّصال ومن أطاعه ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصاه ﷺ فقد عصى الله، لأنّه ﷺ فرّق بين الحقّ والباطل، والمقبول والمردود، وقسّم الأعمال والأحوال بين الصحيح والحسن والضعيف، وجعل الله ذكره ﷺ مَرْفُوْعًا له وحُبّه ﷺ مُسنَدًا إليه، وحكمه ﷺ مُتّصلا به، وجعل قبول العمل مَوْقُوْفًا على اتّباعه ﷺ، وقرّر كمال الإيمان مَقْطُوْعًا إلى ما جاء به ﷺ غير كونه منقطعًا ولا مُعْضلاً لا مُرسًلا، ومن قطع اتّصاله به ﷺ أو إسناده إليه ﷺ صار مُعَلَّقًا، ومَنْ بدّل هديه ﷺ صار مَقْلُوْبًا، ومن اختلف على الأوجه والتفرقة بغير الترجيح والجمع صار مُضْطَرِبًا، ومن دخلت علّةٌ قادحةٌ في صحة باطنه مع سلامة ظاهره صار مُعَلَّلا، ومن تبع ثقةً وخالف من كان أوثق منه بغير الجمع صار شَاذًا، ومن خلط ظلام الترك والخفاء بنور الذكر والجلاء صار مُدَلِّسًا، ومن

أخذ عن مُرشده إلى الطريق ولم يسمّ صار مُبْهَمًا، ومن أدخل على كلامه من كلام الغير كلمةً زائدةً صار مُدْرِجًا ومن أخذ عن مَثِيْله وقرينه الّذي تساوى به في السِّنِ والسند صار مُدَبَّجًا، ومن سقط بسبب الضّعف وانحطّ في بُؤرة الوضع صار مَطْرُوْحًا، ومن غيّر الحديث إعرابًا أو حروفًا صار مُحَرِّفًا، ومن حوّل الكلمة شَكْلًا بتغيير النقط صار مُصَحِّفًا، ومن أطاع واحدًا متّهمًا بالكذب صار مَتْرُوْكًا، ولو خالف الضعيف معروفًا الّذي هو أولى وأوثق منه صار مُنْكِرًا ومن صنع واختلق وكذب وافترى عليه صار وَضَّاعًا، فهو شرّ الضعاف خطرًا وأشدّها ضررًا.

فاعلموا أنّ الله تعالى قسّم الأمّة المحمّدية الّتي أورثها الكتاب واصطفاها إلى ثلاثة أصنافٍ: فمنهم نَاقِصٌ، ومنهم مُتَوَسِّطٌ، ومنهم كَامِلٌ، فالناقص: هو ظالمٌ لنفسه، والمتوسط: هو مقتصدٌ، والكامل: هو سابقٌ بالخيرات وقال الله في كتابه: ﴿ثُمَّ اَوْرَثْنَا الْكِتٰبَ الَّذِيْنَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۚ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهٖۚ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌۚ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَاتِ

بِإِذْنِ اللهِ ط ذٰلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِيْرُo جَنّٰتُ عَدْنٍ يَّدْخُلُوْنَهَا يُحَلَّوْنَ فِيْهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَّلُؤْلُؤًا ج وَلِبَاسُهُمْ فِيْهَا حَرِيْرٌo وَقَالُوا الْحَمْدُ ِللهِ الَّذِیْ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ط اِنَّ رَبَّنَا لَغَفُوْرٌ شَکُوْرُo نِالَّذِیْ اَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهٖ ج لَا يَمَسُّنَا فِيْهَا نَصَبٌ وَّلَا يَمَسُّنَا فِيْهَا لُغُوْبٌo﴾ [فاطر، ٣٥: ٣٢-٣٥] فالظالم لنفسه هو الضعيف، والمقتصد هو الحسن، والسابق بالخيرات هو الصحيح. وكلٌ واحدٍ مِن هؤلاء الثلاثة ورث الكتاب، ودخل في العباد المُصطفَين واستحقّ نعمة القبول للجنّة، ويعطى مِن أساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ولؤلؤ وحَرِيْرٍ، كما ورد عن الرؤوف الرحيم العليم الخبير. وهذه الثلاثة تمثّل الدرجات الثلاث المذكورة في حديث جبريل عليه السلام: الإسلام والإيمان والإحسان.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتّٰى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ،

وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَ تَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيْمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ قَالَ: مَا الْمَسْئُوْلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُوْنَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اَللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ. متفق عليه وهذا لفظ مسلم.

وقال الله تعالى عن الإسلام: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ط قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوْا وَلَكِنْ قُوْلُوْٓا اَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْاِيْمَانُ فِيْ

قُلُوْبِكُمْ ط وَاِنْ تُطِيْعُوا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ اَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ط اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌo﴾ [الحجرات، ٤٩:١٤] فميّز الله تعالى المسلمين من المنافقين تمييزًا صريحًا بقوله: ﴿اِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ فِي الدَّرْكِ الْاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ج وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيْرًاo اِلَّا الَّذِيْنَ تَابُوْا وَ اَصْلَحُوْا وَاعْتَصَمُوْا بِاللّٰهِ وَ اَخْلَصُوْا دِيْنَهُمْ لِلّٰهِ فَاُولٰٓئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِيْنَ ط وَ سَوْفَ يُؤْتِ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِيْنَ اَجْرًا عَظِيْمًاo﴾ [النساء، ٤:١٤٥-١٤٦] فإن الناس قبل الهجرة لم يكونوا إلا مؤمنًا أو كافرًا، فلم يكن هناك منافقٌ، فإنّ المسلمين كانوا مستضعفين، فكان من آمن، آمن باطنًا وظاهرًا، ومن لم يؤمن كان كافرًا، فبعد الهجرة إلى المدينة صار للمسلمين عزٌّ ونصرٌ وعلوٌّ وولايةٌ فدخل كثير من أهلها في الإسلام موافقة، أو رغبة ورهبة، فمن دخل في الإسلام موافقة ومتابعة كان مسلمًا ومن دخل في الإسلام ظاهرًا متربصًا وهو في الباطن كافرٌ كان منافقاً، ومن دخل في الإسلام مطمئناً مخلصاً متيقناً كان مؤمناً.

فجعل للمنافقين الدرك الأسفل فهي درجة مردودة. هذا مثل الإسناد الموضوع، فوصف المسلمين

بالتوبة والإصلاح والاعتصام، والإخلاص وأخرجهم من الدرک الأسفل المردود. هذا مثل الإسناد الضعيف، وشرّفهم بمعيّة المؤمنين الذين لهم أجرٌ عظيمٌ، وتنزل عليهم السّكينة: ﴿لِيَزْدَادُوْا إِيْمَانًا مَّعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح، ٤٨:٤] ويمشون معهم ﴿نُوْرُهُمْ، يَسْعٰى بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحريم، ٦٦:٨] لن يستطيع المنافقون أن يقتبسوا من نورهم بل يقال لهم: ﴿ارْجِعُوْا وَرَآئَكُمْ فَالْتَمِسُوْا نُوْرًا ط فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُوْرٍ لَّهٗ بَابٌ ط بَاطِنُهٗ فِيْهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهٗ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ○﴾ [الحديد، ٥٧:١٢-١٥] فإنّ المنافقين مثلهم مثل الإسناد الموضوع المردود، له الدرک الأسفل، وليس له القبول قطعاً، هذا الّذي لبث في النّار أحقابًا لا يذوق فيها بردًا ولا شرابًا إسمه مرقوم في كتٰبِ الفجّار لفي سِجّين فويلٌ للكاذبين الوضّاعين المكذّبين والمسلمون مثلهم مثل الإسناد الضعيف، الذي تعطي له المغفرة والقبول في الطّرف الأدنى، وليس له الدخول في مساكن الفردوس الأعلى، فإنه يأكل من فواكه الجنّة وجعل الله شربه شراباً طهورًا، ولم يكن قبل الشفاعة شيئا مذكورًا: ﴿فَوَقٰـهَمُ اللّٰهُ شَرَّ ذَالِکَ الْيَوْمِ وَلَقّٰهُمْ

نَضْرَةً وَّسُرُوْرًا ○﴾ [الدهر، ٧٦:١١] المؤمنون مثلهم مثل الإسناد الحسن. هو من ﴿إِنَّ الْاَبْرَارَ يَشْرَبُوْنَ مِنْ كَاْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوْرًا ○ عَيْنًا يَّشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّٰهِ يُفَجِّرُوْنَهَا تَفْجِيْرًا○﴾ [الدهر، ٧٦:٥-٦] وهذا الذي اقتبس الحُسْنَ من غيره، والذين صاروا من الحسن لذاته فإنهم: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيْهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيْلًا○ عَيْنًا فِيْهَا تُسَمّٰى سَلْسَبِيْلًا○ وَ يَطُوْفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُوْنَ ج إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُوْرًا○﴾ [الدهر، ٧٦:١٧-١٩] فلا بُدّ للمسلمين أن ينتفعوا من معية الصالحين ودعواتهم واستغفارهم وشفاعتهم كما قال اللّٰه تعالى: ﴿اَلَّذِيْنَ يَحْمِلُوْنَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهٗ يُسَبِّحُوْنَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُوْنَ بِهٖ وَ يَسْتَغْفِرُوْنَ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ج رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَّعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِيْنَ تَابُوْا وَ اتَّبَعُوْا سَبِيْلَكَ وَ قِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيْمِ○ رَبَّنَا وَاَدْخِلْهُمْ جَنّٰتِ عَدْنِ نِ الَّتِيْ وَعَدْتَّهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ اٰبَآئِهِمْ وَ اَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيّٰتِهِمْ ط اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ○ وَقِهِمُ السَّيِّاٰتِ ط وَمَنْ تَقِ السَّيِّاٰتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهٗ ط وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ○﴾ [المؤمن، ٤٠:٧-٩] وقال اللّٰه تعالى: ﴿اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِينَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ ثُمَّ لَمْ

يَرْتَابُوْا وَجٰهَدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ط اُولٰئِکَ هُمُ الصّٰدِقُوْنَo﴾ [الحجرات، ١٥:٤٩] وقال: ﴿اُولٰئِکَ كَتَبَ فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْاِيْمَانَ وَاَيَّدَهُمْ بِرُوْحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة، ٢٢:٥٨].

فالمؤمن صادقٌ مصدوقٌ مؤيِّدٌ ومؤيَّدٌ فيزيد الله إيمانه بأعماله الصّالحة ويزيد إيمان عامّة المسلمين ويؤيّدهم ببركاته المؤثِرة الشائعة. كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَّقُوْلُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهٖٓ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَّ هُمْ يَسْتَبْشِرُوْنَo﴾ [التوبة، ١٢٤:٩] وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ فِي قُلُوْبِ الْمُؤْمِنِيْنَ لِيَزْدَادُوْا إِيْمَانًا مَّعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح، ٤:٤٨] وقال الله تعالي: ﴿وَالَّذِيْنَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد، ١٧:٤٧] وقال الله تعالي: ﴿اِنَّهُمْ فِتْيَةٌ اٰمَنُوْا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنٰهُمْ هُدًىo وَّرَبَطْنَا عَلٰى قُلُوْبِهِمْ﴾ [الكهف، ١٨:١٣-١٤] وقال الله تعالي: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوْبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ اٰيٰتُهٗ زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَّعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَo﴾ [الأنفال، ٢:٨] وقال الله تعالي: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ وَ يَزْدَادَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْآ اِيْمَانًا﴾ [المدثر، ٣١:٧٤] وقال الله تعالي: ﴿اَلَّذِيْنَ قَالَ

لَهُمُ النَّاسُ اِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوْا لَـكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَّقَالُوْا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُO﴾ [آل عمران، ٣:١٧٣] وصَحّ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْسَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ (لَا يَدْرِي أَبُوحَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ): مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوْهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. متفق عليه. وَعَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: مَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ فِي الْحَقِّ يَكُوْنُ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِيْنَ أُدْخِلُوا النَّارَ قَالَ: يَقُوْلُوْنَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوْا يُصَلُّوْنَ مَعَنَا وَيَصُوْمُوْنَ مَعَنَا وَيَحُجُّوْنَ مَعَنَا فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ قَالَ: فَيَقُوْلُ: اذْهَبُوْا فَأَخْرِجُوْا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ. رواه البخاري.

هناك الصّراحة بالآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة، والدلالة والاقتضاء القطعي فيها بأن الإيمان والإيقان يزيدان، وكذا الهداية والمعرفة تزيدان بمدد الأمور المباركة المفضّلة، ولهذا صار الحديث الحسن مؤيّدًا

بالخيرات والبركات، ويصير ناصرًا و مؤيّدًا أيضًا للضّعاف في الحسنات والمبرات. فأما المحسن فهو في المرتبة الرابعة الأعلى، فقال الله تعالى فيه: ﴿وَمَنْ اَحْسَنُ دِيْنًا مِّمَّنْ اَسْلَمَ وَجْهَهٗ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَّ اتَّبَعَ مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا ط وَاتَّخَذَ اللّٰهُ اِبْرٰهِيْمَ خَلِيْلًا﴾ [النساء، ٤:١٢٥] وقال: ﴿بَلٰى مَنْ اَسْلَمَ وَجْهَهٗ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهٗ اَجْرُهٗ عِنْدَ رَبِّهٖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ﴾ [البقرة، ٢:١١٢] وفي قوله "وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ" إشارةٌ إلى أن ليس لهم الخوف على نفوسهم أن لا يقبلوا ولا يصلوا الجنّة نعيمًا. وفي قوله "وَلَاهُمْ يَحْزَنُوْنَ" إشارةٌ إلى أن ليس لهم الحزن في أزواجهم وأحبابهم وأتباعهم وذرّيّاتهم لو تبعوهم في الإيمان أن يُرَدّوْا ويُلْقَوا في النّار تعذيبًا. وقال الله تعالى: ﴿اِنَّ رَحْمَتَ اللّٰهِ قَرِيْبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِيْنَ﴾ [الأعراف، ٧:٥٦] وقال: ﴿وَ اَحْسِنُوْا اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ﴾ [البقرة، ٢:١٩٥] فهذا معلوم أنّ الإحسان لا يوجد ولا يتحقق إلا بالسخاء والنصرة والعطاء للغير، وإذ اختار العباد المحسنون عمل الإحسان لم يفعلوا إلّا الإيثار للضعفاء، والإمداد للمساكين، والاستغفار

للمذنبين، وإذا اختار الله ﷻ جزاء الإحسان لن يفعل إلّا بقبول شفاعة المحسنين المسندين في حق الخطّائين المنتسبين إليهم، وبمعونتهم وبمغفرتهم، لأن نفوسهم كانت راضيةً، وجعلها الله مرضيةً، كي تفرح وترضى في أعوانهم وأنصارهم ومحبيهم ومتبعيهم فهل جزاء الإحسان إلّا الإحسان ولا بدّ أن يكون إحسان الله العظيم المعين أوسع من إحسان العبد المستعين، فأما المحسنون فهم أهل الإسناد الصحيح. فإنهم يشربون من تسنيم: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيْقٍ مَّخْتُوْمٍ ○ خِتَامُهٗ مِسْكٌ ط وَفِيْ ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُوْنَ○﴾ [المطففين، ٨٣:٢٥-٢٦] فإن المحسن إيمانه بعيدٌ عن رجم الظّنون، ونظيفٌ كأمثال اللؤلؤ المكنون، ومعصوم من الخوف والحزن والرّيب، ومحفوظٌ من التّهمة والوهم والعيب، والمؤمن أي صاحب الإسناد الحسن هو ممنوع من الدّنس والدَّرَنِ، ولا يُوْصَفُ بكسل ولا أرن، نقيّ العرض والذّات، ومأمون عن الكبائر وخبائث الشّهوات، يبصر حسنه بالعين، لا يلفظ بلسان ولا شفتين، فأمّا المسلم وهو صاحب الإسناد الضّعيف، فتَنْقُصُ صحته بالعلّة، أمّا

الشديد أو الخفيف فإنّه يقبل ويترقى من مرتبة الضعف إلى مرتبة العمل به، بالانتشار عند الثقات والانضمام بالمتابعات الطيبات، فإنّه يقبل بشفاعة الصحاح للكاملين والحسان المتقين، ويعتضد بتقوية الصالحين المحفوظين الثابتين، ويصلح بمتابعة المعروفين المقبولين الصادقين، ويتقوى بشهادة كثرة طرق الثقات المؤيدين العادلين، وينتفع بموافقة الحفّاظ المعدّلين والكبار المسندين، ويُحتجّ بتأييد القياس المعتبر، والإفتاء المشتهر، من العلماء المحققين، ويستشهد بقبول أهل العصور وتعامل أهل الدّهور من المحدثين.

فأما الأولياء والصلحاء المحسنون، أي أصحاب الإسناد الصحيح فقد قال الله تعالى في حقهم: ﴿اَلْاَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ اِلَّا الْمُتَّقِيْنَ○ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا اَنْتُمْ تَحْزَنُوْنَ○ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بِآيَاتِنَا وَكَانُوْا مُسْلِمِيْنَ○ اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ اَنْتُمْ وَ اَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُوْنَ○﴾ [الزخرف، ٤٣: ٦٧-٧٠] إنَّ الله فرّق بين ''أنتم'' و''أزواجكم'' في دخولهم الجنّة فقال: ادخلوا (أيها الأولياء) الجنّة أنتم،

لأنكم من العباد المتّقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولكنّ "أزواجكم" أيضًا يدخلون الجنّة معكم فإنّهم لايدخلون باستحقاق أنفسهم، بل يكون دخولهم لأجل معيّتهم بالأقوياء المتّقين ولموافقتهم الصّلحاء الثّابتين، وبإعانة الصحاح الحسان المقبولين إنّ هذه المعيّة والموافقة والإعانة والتّقوية رفعت ضعف الأزواج الّذي كان في نفوسهم وأعمالهم وجعلتهم مقبولين مغفورًا لهم.

قال الله تعالى في مقام آخر: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ جَنَّاتٍ وَّ نَعِيْمٍo فَاكِهِيْنَ بِمَآ اٰتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيْمِo كُلُوْا وَاشْرَبُوْا هَنِيْٓئًام بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَo مُتَّكِئِيْنَ عَلٰى سُرُرٍ مَّصْفُوْفَةٍ وَّ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُوْرٍ عِيْنٍo وَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيْمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍط كُلُّ امْرِئٍم بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌo﴾ [الطور، ٥٢:١٧-٢١]

إذا وقعت فطرة الذرّيّة مومنة سليمة طيّبة بقبول الفضائل والحسنات والخيرات والبركات. ولكنّها ضعيفة في صحّتها وعملها ودرجتها. وصل إليها فيض الآباء الأقوياء، وبركة

الكبرآء ومدد الأولياء والصلحاء فيقوّيها، ويرفعها إلى مرتبة القبول، ويدخلها في الدرجات العليّة مع الأرواح الرفيعة المقرّبة الواصلة، فإنّه تعالى مبلغهم من الأدنى إلى الأعلى، ومخرجهم من الوحشة إلى الوصلة، وموصلهم من الغربة إلى القربة. كما قال الله تعالى: ﴿يَتَنَازَعُوْنَ فِيُهَا كَأْسًا لَّا لَغُوٌ فِيُهَا وَلَا تَأْثِيُمٌo﴾ [الطور، ٥٢:٢٣] إذا شرب هؤلاء الضعفاء شراب القبولية والقربة والوصال بعد رفع درجاتهم إلى مقامات الأولياء والصّلحاء من أهل الكمال فورثوا درجات الاستقامة بعد الموافقة من أهل الكرامة ﴿قَالُوْآ إِنَّا كُنَّا قَبُلُ فِيْٓ أَهُلِنَا مُشُفِقِيُنَo﴾ [الطور، ٥٢:٢٦] أي كنّا خائفين في حال الضّعف والفرقة والغربة، عالمين بأنّنا غير مقبولين وغير موصولين. ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيُنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُوُمِo﴾ [الطور، ٥٢:٢٧] أي أخرجنا الله تعالى من الذّلة ووصفنا بالعزّة وشرّفنا باللقاء والتّلقي والقبول. لأنّهم إذا رغبوا في حرص الثواب، والخوف من العقاب، وفي مناقب أهل الكمال وفضائل الأعمال اشتاق الصلحاء إليهم، وتلاقوا بهم، وتحابّ وتوافق الكبراء لهم، وتجالس وتماثل العمداء بهم، ورفعوهم وتقبّلوهم

ووثّقوهم، ورجّحوهم حدّ الثقة والشهرة والترجيح.

فمن دخل في زمرهم تيسّر له المدد والبركة والموافقة المؤيّدة، وخرج من الظلمة إلى النور، وتعزّز بالتّلقي والظهور، وحصل له الترقي والقبول بتحيّة السّلام ومزيد الجوار الكرام كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِیْ يُصَلِّیْ عَلَيْكُمْ وَ مَلٰٓئِكَتُهٗ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَی النُّوْرِ ط وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَحِيْمًا ○ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهٗ سَلٰمٌ ج وَّاَعَدَّ لَهُمْ اَجْرًا كَرِيْمًا ○﴾ [الأحزاب، ٣٣:٤٣-٤٤] هذا الأصل من القطعيّات الشرعية الثابتة من الكتاب والسّنّة كما ذُكِرَ في الدعاء في القرآن الكريم: ﴿وَاجْعَلْ لَّنَا مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَّاجْعَلْ لَّنَا مِنْ لَّدُنْكَ نَصِيْرًا﴾ [النساء، ٤:٧٥] قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُوْنَ وَالْمُؤْمِنٰتُ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ط ﴾ [التوبة، ٩:٧١] وقوله تعالى: ﴿وَ تَعَاوَنُوْا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰی وَلَا تَعَاوَنُوْا عَلَى الْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة، ٥:٢] فمعناه لو كانت هناک علّة في الإسناد علة قبيحة شديدة مثل الوضع والكذب، أو غير ذالک، فلا تنفعه شفاعة الشافعين. وإن كانت في الإسناد

علةٌ خفيفةٌ ضعيفةٌ، مثل سيّئة أو زلّة أو خطيئة إمّا صغيرة أو كبيرة، تمكن إزالة ضررها بالشّفاعة والمعاونة والموافقة من الأولياء والصّالحين والثّابتين، لينفعه ويعينه ويرفعه فيصير مقبولاً ومعمولاً به. كما قال الله تعالى: ﴿فَاِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلٰهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيْرٌ ○﴾ [التحريم، ٦٦:٤]. لأن الله جعل صالح المؤمنين ظهيرًا للضعاف المسلمين، فلا تنفع الشفاعة والولاية للكفار الظالمين، ولا للمنافقين.

وأمّا حكم المراسيل والضِعاف فالخبر المرسل هو قويٌّ وحجّةٌ عند أكثر الأئمة الكبار، غير محتاج للتقوية والاعتضاد والانتصار، كالضعيف والمجروح في الاعتبار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُوْنَ لِيَنْفِرُوْا كَآفَّةًط فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوْا فِی الدِّيْنِ وَلِيُنْذِرُوْا قَوْمَهُمْ اِذَا رَجَعُوْا اِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُوْنَ○﴾ [التوبة، ٩:١٢٢] دلّت الآية على أنّ الطائفة الّتي تفقّهت في الدّين، وتخصصت في العلم. إذا رجعت إلى قومها وأنذرتهم بما قال النّبي ﷺ. أنّه

يجب قبول خبرهم، ولم تفرق الآية في الأخبار والإنذار بين ما أسندوه، وما أرسلوه، ولا بين الصحابة والتابعين، ومن بعدهم. ولم يميز بين من أخبر وأنذر مِنْ مرسلٍ أو من مسند. فقد قال الله تعالى فيه: ﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَاٍ فَتَبَيَّنُوْٓا﴾ [الحجرات، ٤٩:٦] رويت هناك قراءتان متواترتان "فتبيّنُوا" أو "فتثبَّتُوا" وما قال "فَلا تقبَلُوا" أو "ردُّوه" أو "اتركوه، بل الأمر فيه للتبين والتحقق والتثبت. فلم يأمر الله تعالى بالتبيّن والتثبّت إلا في خبر الفاسق، فدلّت الآية على أنّ العدل الثّقة لا يجب التبيُّن والتثبُّت والتحقّق في خبره، والمرسل عدلٌ ثقة فيجب قبول خبره لأنّ الآية لم تفرق بين ما أسنده وما أرسله، وهكذا الأحاديث النبوية ﷺ الّتي وردت في التبليغ كقوله ﷺ: "بلّغوا عنّي ولو آية." و"ليبلّغ الشاهد منكم الغائب." رواهما البخاري لأنّه أمر بالتبليغ عنه في كلّ حالٍ ومجالٍ، فالأمر بالتبليغ لا بّد له من فائدة العمل بما يبلّغ الراوي من بعده، ولم يفرّق الحديث بين ما كان يبلّغه الراوي مسندًا أو مرسلًا. واتّفق الصحابة على قبول روايات ابن عباس والنعمان بن بشير وابن الزبير ﷺ، وسائر الصغار من

الصحابة والقرابة. مع أنّهم لم يسمعوا من النّبي ﷺ أكثرها ورووها مرسلة وهكذا إجماع التابعين على قبول المراسيل ولم يزل العمل بالإرسال وقبوله حتى حدث بعد المائتين القول بردّه. ولاريب أنّ خبر الفاسق هو الإسناد الضعيف جدًا فأشار بهذا الأمر إلى وجود الصلاحيّة الأصليّة للقبول في السند الضعيف، ولوكان "نبأ الفاسق" مردودًا قطعًا ومطلقاً لقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوْا لَهُمْ شَهَادَةً اَبَدًاۚ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْفٰسِقُوْنَ﴾ [النور، ٢٤:٤] ولكن قوله: "فتبيّنوا" صريح الدلالة وصحيح الشهادة، لأنّ هذا الخبر والإسناد مطالب فيه بالتبيّن والتحقق للقبول، ولا يجوز الإنكار عليه والتكذيب به على الإطلاق فمعناه لوحصلت التقوية للإسناد الضعيف بعد التبيّن والتثبت لتأييد الثقات والأثبات فيقبل ويعمل به. أو وجد الخبر الضعيف في المناقب، وفي الفضائل وفي الترغيب والترهيب فيقبل ويُعمل به. أو وجد الخبر من طريقين: كل منهما ضعيف قوي أحد الطريقين بالآخر فيصير حسنًا. أو وجد الخبر، فصرّح أحد من أئمة الحديث والجرح وضعه أو ضعفه وآخر بالصحة، وتوجد كثرة طرق فيه أو تأيد

متنه بروايات أخرى، فيصير في درجة الحسن. أو وجد الخبر بسند ضعيف وتوبع بمعتبر يقبل ولا ينحط إلى الضعف. أو وجد الخبر الضعيف وورد من جهة أخرى. أو وجد الخبر الضعيف في أمر لا يروى فيه حديث بإسناد أحسن منه، فيقبل ويعمل به. فإنّ الضعيف هو مانقص عن درجة الحسن قليلا، كما الحسن هو ما قصر عن رتبة الصحيح قليلا، وارتقى عن درجة الضّعيف، ولذا يقال آخر مراتب الحسن هي أوّل مراتب الضّعيف. وهكذا جعل المطروح ما نزل عن رتبة الضّعيف، وارتفع عن الموضوع، فمنزلته بين الضعيف والموضوع، حتى لا يقال الضعيف ولا المتروك ولا المطروح موضوعًا، لأنّ كلّ ضعيفٍ ليس بموضوعٍ، بل الموضوع هو المختلق المصنوع، هو في الحقيقة ليس بحديث، ولكنّ المحدثين سمّوه حديثًا بالنظر إلى زعم راويه، فإنّ الموضوع لا يعادل الضّعيف ولا يساويه. أمّا الضعاف فيكفي لنا قول العفاف قول الإمام عبد الرحمٰن بن المهدي، رواه الحاكم في المدخل: ”إذا روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال تساهلنا في الأسانيد وسمحنا في الرجال، وإذا روينا

في الحلال والحرام والأحكام تشدّدنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال." وأيّد هذا القول الّذي صدر من أكابر الأئمة والرجال قول الإمام أحمد بن حنبل رواه الحاكم في المدخل إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسّنن تشدّدنا، وإذا روينا عن النّبي ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكمًا ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد.

فَإِنَّ شَرَّ الضَّعِيفِ الْمَوْضُوعُ، وَأَخَفَّهُ الْمَتْرُوكُ، ثُمَّ الْمُنْكَرُ، ثُمَّ الْمُعَلَّلُ، ثُمَّ الْمُدْرَجُ، ثُمَّ الْمَقْلُوبُ، ثُمَّ الْمُضْطَرِبُ، فَهُوَ الْمُضْطَرُّ هَكَذَا رَتَّبَ ابْنُ حَجَرٍ.

أمّا بعد: فإنّ علم السّنّة والحديث أشرف المطالب وأعلاها وأنجح الرغائب وأغلاها وأطيب المكاسب وأزكاها وأهم الأمور بالعناية وأولاها قد بيّن الله شرفه وفضله ورفع أسانيد أهل الرواية وكملهم بمعارف لطائف الدراية ومنّ علينا بهباته الوافرة وآلائه المتكاثرة وأيّدنا بهذا الدين المتين برواية السّنّة المطهرة والأحاديث الشريفة المنوّرة في كل زمان ومكان.

كما نقل العلامة محمد جمال الدين القاسمي في قواعد التحديث ''قال الإمام النووي قدس الله سرّه في ''مقدمة شرحه على صحيح مسلم'': ''إن من أهم العلوم تحقيق معرفة الأحاديث النبويات، أعني معرفة متونها، صحيحها وحسنها وضعيفها، وبقية أنواعها المعروفات، ودليل ذلك: أن شرعنا مبنيٌّ على الكتاب العزيز والسنن المرويات، وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهيات، فإنّ أكثر الآيات الفروعيات مجملاتٌ، وبيانها في السنن المحكمات.

وقد اتفق العلماء على أنّ من شرط المجتهد من القاضي والمفتي أن يكون عالمًا بالأحاديث الحكميات. فثبت بما ذكرناه: أنّ الاشتغال بالحديث من أجلّ العلوم الراجحات، وأفضل أنواع الخير، وآكد القربات. وكيف لا يكون كذلك وهو مشتمل على بيان حال أفضل المخلوقات، عليه من الله الكريم أفضل الصلوات والسلام والبركات؟

ولقد كان أكثر اشتغال العلماء بالحديث في الأعصار الخاليات، حتى لقد كان يجتمع في مجلس الحديث من

الطالبين ألوفٌ متكاثراتٌ، فتناقص ذلك، وضعفت الهِمم، فلم يبق إلا آثارٌ من آثار هم قليلات، والله المستعان على هذه المصيبة وغيرها من البليات.

وقد جاء في فضل إحياء السنن المماتات أحاديث كثيرة، معروفات مشهورات، فينبغي الاعتناء بعلم الحديث، والتحريض عليه لما ذكرنا من الدلالات، ولكونه أيضاً من النصيحة لله تعالى، وكتابه ورسوله وللأئمة والمسلمين والمسلمات، وذلك هو الدين كما صحّ عن سيد البريات صلوات الله وسلامه عليه، ولقد أحسن القائلُ: من جمع أدوات الحديث استنار قلبه واستخرج كنوزه الخفيات، وذلك لكثرة فوائده البارزات والكامنات، وهو جديرٌ بذلك، فإنه كلام أفصح الخلق، ومن أعطي جوامع الكلمات ﷺ صلوات متضاعفات.

وقال العلامة الشهاب أحمد المِنّيني الدمشقي الحنفي. في ''القول السديد في إتصال الأسانيد'': إن علم الحديث علمٌ رفيعُ القدر، عظيمُ الفخر، شريف الذكر، لا

يعتني به إلا كلُّ حَبْرٍ، ولا يُحرمُهُ إلاّ كلُّ غِمْرٍ، ولا تَفْنَى محاسنُهُ على مرّ الدهر، لم يزل في القديم والحديث يسمو عزة وجلالة، وكم عزّ به من كشف الله له عن مخبآت أسراره وجلاله، إذْ به يُعرف المراد من كلام رب العالمين، ويظهر المقصودُ من حَبْلِهِ المتصل المتين، ومنه يُدرَى شمائلُ مَنْ سَمَا ذاتًا ووصفًا واسمًا ويوقف على أسرار بلاغة مَنْ شرَّف الخلائق عُرْبًا وعجمًا، وتمتدُّ من بركاته للمُعتني به موائدُ الإكرام من ربّ البرية، فيُدرك في الزمن القليل من المولى الجليل المقامات العلية والرتب السنية، مَنْ كَرَعَ من حِيَاضِه أو رَتَعَ في رياضه فَلْيَهْنِهِ الأنسُ بجنى جنانه السنة المحمدية، والتمتع بمقصورات خيام الحقيقة الأحمدية، وناهيك بعلم من المصطفى ﷺ بدايتُهُ، وإليه مستندُهُ وغايتُهُ، وحسبُ الراوي للحديث شرفاً وفضلاً، وجلالةً ونُبلاً، أن يكون أول سلسلة آخرها الرسولُ ﷺ، وإلى حضرته الشريفة بها الانتهاءُ والوصولُ، وطالما كان السلفُ الصالح يُقاسُون في تحمّله شدائدَ الأسفار، ليأخذوه عن أهله بالمشافهة، ولا يقنعون بالنقل من الأسفار فربما ارتكبوا غارب الاغتراب

بالارتحال إلى البلدان الشاسعة لأخذ حديثٍ عن إمام انحصَرَتْ روايتُهُ فيه، أو لبيان وضع حديثٍ تتبعُوا سَنَدَهُ حتى انتهى إلى مَنْ يَختلِقُ الكذب ويفتريه، وتأسّى بهم مَنْ بعدهم من نَقَلةِ الأحاديث النبوية، وحَفَظَةِ السنة المصطفوية، فضبطُوا الأسانيد وقيدوا منها كلَّ شريدٍ، وسَبَروا الرواة بين تجريحٍ وتعديلٍ، وسلكوا في تحرير المتن أقوم سبيلٍ، ولا غرض لهم إلاَّ الوقوفُ على الصحيح من أقوال المصطفى ﷺ وأفعاله، ونفي الشبهة بتحقيق السند واتصاله، فهذه هي المَنْقَبةُ التي تتسابقُ إليها الهِممُ العوالي، والمأثرة التي يُصرَف في تحصيلها الأيامُ والليالي.

وقال الإمام أبو الطيب الأثَري القَنُوَجي رحمه الله في كتابه ''الحِطة في ذكر الصحاح الستة'': اعلم أنّ آنف العلوم الشرعية ومفتاحَها، ومشكاةَ الأدلة السمعية ومصباحَها، وعمدةَ المناهج اليقينية ورأسَها، ومبنى شرائع الإسلام وأساسَها، ومستندَ الروايات الفقهية كلّها، ومآخذَ الفنون الدينية دِقّها وجُلّها، وأسوةّ جملة الأحكام وأسَّها، وقاعدة

جميع العقائد وأُسْطُقُسها، وسماءَ العبادات وقُطُبَ مَدَارها، ومركزَ المعاملات وَمَحطَّ حارّها وقارها، هو: علمُ الحديث الشريف الذي تُعرف به جوامعُ الكَلِم، وتنفجرُ منه ينابيعُ الحِكَمِ، وتدورُ عليه رَحَى الشرح بالأسُر، وهو مِلاكُ كل نهي وأمر، ولولاهُ لقالَ من شاء ماشاء، وخَبَط الناسُ خَبْطَ عَشْواءَ، وركبوا متن عمياء، فطوبى لمن جَدَّ فيه، وحصل منه على تنويه يملك من العلوم النواصي، ويُقَرّبُ من أطرافها البعيد القاصي.

وَمَنْ لم يرضع من درّه، ولم يَخُضْ في بحره، ولم يقتطف من زهره، ثم تعرّض للكلام في المسائل والأحكام، فقد جار فيما حكم، وقال على الله تعالى مالم يعلم، كيف وهو كلام رسول الله ﷺ. والرسولُ (ﷺ) أشرفُ الخَلْق كلّهم أجمعين، وقد أُوتي جوامعَ الكَلِم، وسواطعَ الحِكَم من عند رب العالمين. فكلامُهُ أشرفُ الكَلِم وأفضلُها، وأجمعُ الحِكم وأكملُها، كما قيل: "كلامُ الملوك ملوكُ الكلام." وهو تِلْوُ كلام الله تعالى العَلَّام، وثاني أدلة الأحكام، فإن علوم

القرآن وعقائد الإسلام بأسرها، وأحكام الشريعة المطهرة بتمامها، وقواعد الطريقة الحقّه بحذافيرها، وكذا الكشفياتُ والعقلياتُ بنقيرها، وقِطْمِيرها، تتوقفُ على بيانه ﷺ، فإنها مالم تُوزَنُ بهذا القسطاس المستقيم، ولم تُضْرَب على ذلك المعيار القويم، لا يُعتمد عليها، ولا يُصار إليها.

فهذا العلم المنصوص، والبناءُ المرصوص، بمنزلة الصرّاف لجواهر العلوم، عقليّها ونقليّها، وكالنقَّاد لنقود كل الفنون، أَصليها وفرعيها من وجوه التفاسير والفقهيات ونصوص الأحكام، ومآخذ عقائد الإسلام، وطرق السلوك إلى الله تعالى ذي الجلال والإكرام، فما كان منها كامل العيار، في نقد هذا الصرَّاف، فهو الحَرِيُّ بالترويج والاشتهار، وماكان زيفاً غير جيد عند ذاك النقاد، فهو القَمِين بالرد والطرد والإنكار.

فكلُّ قول يُصَدّقُهُ خبرُ الرسول ﷺ، فهو الأصلحُ للقبول، وكلُّ ما لا يساعده الحديثُ والقرآن، فذلك في الحقيقة سَفْسَطَةٌ بلا برهان، فهي مصابيح الدُّجى، ومعالِمُ

الهدى، وبمنزلةِ البدر المنير، مَنْ انقاد فقد رَشَد واهتدى، وأوتي الخير الكثير، ومن أعرضَ عنها وتولّى فقد غَوَى وهَوَى، وما زاد نفسَهُ إلاّ التخسير، فإنه ﷺ نهى وأمر، وأنذرَ وبشَّر، وضَرَب الأمثالَ وذكّر، وإنها لَمِثْلُ القرآن بل هي أكثر، وقد ارتبطَ بها اتباعُهُ ﷺ الذي هو ملاک سعادة الدارين، والحياةُ الأبديةُ بلا مَيْنٍ، كيف وما الحقُّ إلا فيما قاله ﷺ أو عَمِل به أو قرَّرَهُ أو أشار إليه أو تفكّر فيه، أو خطر بباله أو هَجَسَ في خَلَده واستقام عليه، فالعلمُ في الحقيقة هو علمُ السنة والكتاب، والعمل بهما في كل إياب وذهاب، ومنزلتُهُ من العلوم منزلةُ الشمس بين كواكب السماء، وَمَزِيّةُ أهله على غيرهم من العلماء، مزيةُ الرجال على النساء ﴿ذَلِکَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَاْءُ﴾ [المائدة، ٥:٥٤]، فيَالَهُ من علم سِيْط بدمه الحقُّ والهدى، ونيُطَ بعنُقِهِ الفوزُ بالدرجات العُلى. وقد كان الإمام محمد بن علي بن الحسين (محمد الباقر) عليه السلام يقول: ’’إنَّ من فقه الرجل بصيرتَهُ أو فِطنتَهُ بالحديث.‘‘

فلذلک لا يزال يجري ذكر أقواله الكريمه وأحواله العظيمه وفضائله الشريفة وشمائله المنيفة على لسان الصحابة والتابعين والرواة المحدثين ولم يبرح تمثال جماله الكريم وخيال وجهه الوسيم ونور حديثه المستبين تحت أمر النبي الأمين المكين ﷺ:

١۔ كما روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ”نضّر الله امرءًا سمع منّا شيئًا فبلّغه كما سمعه، فربّ مبلغٍ أوعى من سامع.“ رواه الترمذي وأبوداوود.

٢۔ وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ”نضّر الله المرء سمع منّا حديثًا فبلّغه غيره، فربّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه، وربّ حامل فقه ليس بفقيه.“ رواه أبو داود.

٣۔ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: ”نضّر الله امرءًا سمع مقالتي، فحفظها ووعاها وأدّاها.“ رواه الترمذي وأبوداود والشافعي واللفظ له والبيهقي.

٤۔ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

"اللّهم ارحم خلفائي، قيل: ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي، ويعلّمونها الناس."

رواه الطبراني في الأوسط.

٥۔ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "بلّغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوّأ مقعده من النار." رواه البخاري.

٦۔ وعن أبي قرصافة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "حدّثوا عنّي بما تسمعون، ولا تقولوا إلا حقًا، ومن كذب عليّ بني له بيت في جهنم يرتعُ فيه." رواه الطبراني.

٧۔ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: "علِّموا ويسِّروا ولا تعسِّرو، وبشروا ولا تنفِّروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت." رواه أحمد والبخاري في الأدب.

٨۔ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: "تعلّموا الفرائض والقرآن، وعَلِّمُوا الناس، فإني مقبوض."

رواه الترمذي.

۹۔ وعن عمرو بن عوف ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لبلال بن الحرث يومًا: ''اعلم يا بلال قال: ما أعلم يا رسول الله، قال: أن من أحيا سنة من سنتي أميتت بعدي، كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله، كان عليه مثل آثام من عمل بها، لا ينقص ذلک من أوزار الناس شيئا.'' رواه الترمذي وابن ماجه.

۱۰۔ وعن أبي هريرة ﷺ عن النّبي ﷺ قال: ''المتمسّک بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد.'' رواه الطبراني.

۱۱۔ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النّبي ﷺ قال: ''من تمسّک بسنّتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد.''

أخرجه البيهقي ورفعه.

۱۲۔ وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النّبي ﷺ أنه قال: ''يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.''

أَخرجه ابن عدي في الكامل ورواه البيهقي في المدخل،

والدارقطني في السنن، وأبونعيم في كتاب الضعفاء وذكر القسطلاني أنه يصير بطرقه حسنًا وجزم به العلائي.

١٣۔ وعن ثابت بن قيس ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ''تسمعون ويسمع منكم، ويسمع من الذين يسمعون منكم، ويسمع من الذين يسمعون من الذين يسمعون منكم.'' رواه الطبراني والحاكم.

١٤۔ وعن عمر ابن الخطاب ﷺ كان يقول: ''سيأتي قومٌ يجادلونكم بشُبُهات القرآن، فخذوهم بالسنن، فإنَّ أصحابَ السنن أعلم بكتاب الله عزّ وجلّ۔''

نقله الإمام الشعراني في الميزان الكبرى.

فَإِنَّ اللهَ جَعَلَ لَنَا الثِّقَاتَ لِإِسْنَادِ الرِّوَايَةِ وَإِبْلاغِ الدِّيْنِ، لِأَنَّ الإِبْلاغَ وَالإِسْنَادَ مِنْ خُصُوْصِيَاتِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَمَا مِنْ أُمَّةٍ مِّنْ أُمَمِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِيْنَ كَانَتْ لَهَا هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ الْعِلْمِيَّةُ الرَّفِيْعَةُ تَبْلُغُ دِيْنَهَا بِالإِسْنَادِ الْمُتَّصِلِ بَيْنَ نَبِيِّهَا وَبَيْنَ عُلَمَائِهَا، قَدْ فَاضَلَ اللهُ تَعَالَى بِهَا خَيْرَ أُمَّةٍ وَشَرَّفَ أَئِمَّتَهَا بِآدَابِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَى الْمُحَدِّثِيْنَ، وفي قوله تعالى: ﴿أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾

[الأحقاف، ٤٦:٤] هي إشارةٌ إلى إسناد الحديث وروايته هذا الأمر في شأن الإسناد لرواية الدين، وقال الأئمّة الكبار من التّابعين:

١٥۔ منهم الإمام محمد بن سيرين رضي الله عنه (١١٠ھ) الّذي قال: ”إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم“.

رواه مسلم.

١٦۔ وعنه قال: ”لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم“. رواه مسلم.

١٧۔ وعن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم (١٢٥ھ) قال: ”لا يحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا الثقات“. رواه مسلم والدارمي.

١٨۔ وعن عبد الله بن المبارك رضي الله عنه (١٨١ھ) قال: ”الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء“.

رواه مسلم.

١٩۔ وعنه ﵁ قال: ”بيننا وبين القوم القوائم يعني الإسناد.“
رواه مسلم.

٢٠۔ وعن الإمام الشافعي ﵁ (٢٠٤ ھ) قال: ”مَثَلُ الذي يطلب العلم بلا حجة، مثل حاطب ليل، يحمل حُزُمَةَ حطب فيها أفعى، تَلْدغه وهو لا يدري.“ رواه البيهقي.

٢١۔ وعن الربيع بن سليمان المرادي ﵁ (١٧٤ھ) : ”مثل الّذي يطلب الحديث بلا إسناد، مثل حاطب ليل.“

٢٢۔ وعن سفيان الثوري ﵁ (١٦١ھ) قال: ”الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح، فبأي شيء يقاتل.“
رواه الذهبي والخطيب.

٢٣۔ قال صالح بن أحمد (٣٨٤ ھ): ”يعني إن الحديث بلا إسناد ليس بشيء وإن الإسناد دُرُج المتون، به يوصل إليها.“ رواه الخطيب.

فجمع الأئمة سنته المطهرة وأحاديثه الشريفة في الكتب ورتّبوها في المؤلفات، وقسموها في الطبقات والدرجات قد صحّ طلوع شمسه ﷺ على مطلع الصحاح،

وأضاءت جميع لوامعه على منظر الجوامع، وتسنّنت عنه الأحكام والمِنَنُ في السّنن وتعدّدت طرقه بأسانيد أصحابه في المسانيد، وانتشرت مَعَالِمُه بالأسماء على الهجاء في المعاجم، واشتملت أحكامه مبوّبة في المصنفات، واستدرِكت روايات كماله على نفس الشرط في المستدركات، واستخرجت مرويّاته بأسانيد أخرى في المستخرجات، واختيرت اللآلى الجيّدة من كلامه في المنتقى، وجمعت أخباره المأثورة في الآثار و نوّرت أنوار أشعته في الأجزاء.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الشُّهُوْدِ الْعُدُوْلِ الثِّقَاتِ، وَأَتْبَاعِهِ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْاِعْتِبَارِ وَالْمُتَابَعَاتِ، الّذِيْنَ ضَبَطُوْا فِي صُدُوْرِهِمُ الْمَعَارِفَ وَالْمِنَنَ، وَبَلَّغُوْا إِلَيْنَا أَحْكَامَ الْكِتَابَ وَالسُّنَنَ وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ مَوْصُوْفٌ بِالتَّدْلِيْسِ وَالتَّضْلِيْلِ، لِأَنَّهُمْ صَرَّحُوْا فِي الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ وَالْهِدَايَةِ بَالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيْلِ، حَتَّى جَعَلَ اللهُ بِهِمْ غَرِيْبَ الدِّيْنِ عَزِيْزًا مُؤَهَّلًا وَقَوِيّ الشِّرْكِ ضَعِيْفًا مُسْلَسَلًا وَصَارَ قَوْلُ وَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَحِيْحًا، حَسَنًا، جَيِّدًا، قَوِيًّا، صَالِحًا،

مَعْرُوْفًا، مَحْفُوْظًا، ثَابِتًا، وَمُجَوَّدًا.

قد ألّفت هذه الرسالة ولخّصت فيها مسألة مهمة عظيمة وسمّيتها ''الخطبة السديدة في أصول الحديث و فروع العقيدة'' تتضمن ما يأتي به شواهد الحق من النصيحة في أصول الحديث وفروع العقيدة الصحيحة السديدة وهذه الأنوار المكنونة والأسرار المخزونة، تنزل على سماء الروح من الملاء الأعلى وتضيء على مطلع القلب بعد كشف الغطاء فاشرب من هذه الكأسة على قدر ما تستطيع وما تشاء وانتفع بها بالأخذ والحفظ والتحمل والأداء على قدر ما اقتضى فتوكل على الله وأسأل الله تعالى أن يجعل هذه الخطبة نافعة ومفيدة وصحيحة وسديدة بحرمة سيد الأنبياء والمرسلين وصلّى الله عليه وآله وأصحابه وأتباعه أجمعين إلى يوم الدين.